NIETZSCHE

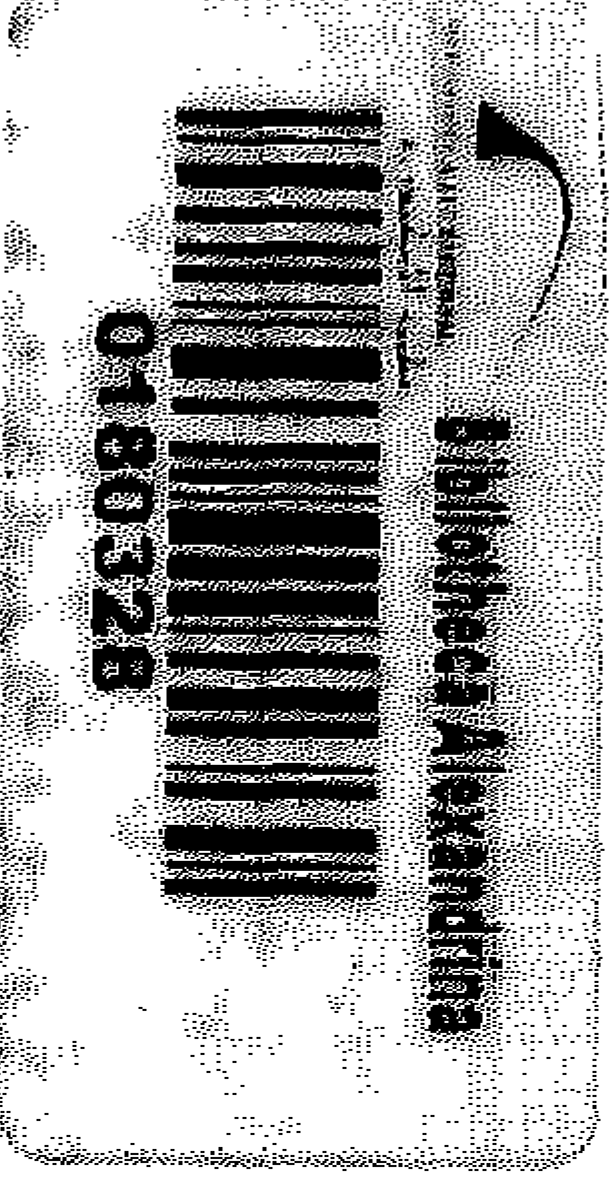
فـــريــــدريـــك نـــيـــتـــشـــه

أفـــول الأصـــنـــام



ترجمة

حسان بورقية   محمد الناجي



أفريقيا الشرق

أفول الاصنام

الطبعة الأولى 1996
رقم الإيداع القانوني 1271 / 1996
ردمك : 9 - 061 - 25 - 9981

NIETZSCHE

فريديك نيتشه

أفول الأصنام



ترجمة
حسان بورقية   محمد الناجي

أفريقيا الشرق

الإهـــــداء

إلى عزيزة السملالي...
ومحمد بوتخامت..

مـدخـل

إنني متـورط في قضـية شـائكة وجد مـتطلبة، فالمحـافظة على مرح رائق أمر لا يخلو من تجـربة تتطلب القوة: ومع ذلك، أي شيء أكـثر ضـرورة من المرح؟ لا شيء يمكن أن ينجح ابدا إذا لم يمتزج به شـيء من الوقاحة الطائشـة. فالافـراط في القوة هو ما يبرر القوة. **إن قلبا ما لكل القيم،** علامة الاستفهام هذه، السـوداء، المقلقـة حـتى إنهـا تلقي بظلهـا على الذي يطرحـهـا -مـهـمـة مـحـملة بهـذا المقـدار باللعنة، هو ذاك مـا يرغم على الاسـراع كل آن الى الشـمس لتـحريـر الحمل الـثقـيل، المفـرط الثـقـل، من جـديتـه، من أجـل هذا، كل وسـيلة حـسنة، كل "حظ" هو حظ سعيد. **الحرب**، في المقـام الاول. لقد كـانت الحرب دائما خدعة العقول المستنـبطة بإفراط وقد غدت عميقة أكثر: في الجرح ايضا تكمن فضيلة شافية. هناك حكمة كانت

منذ زمن بعيد عملتي المفضلة، والتي أريد إخراج اصلها من فضول المنقبين:

(*) increscunt animi, virescit volnere virtus

علاج آخر يبدو لي أنه، في حالات عديدة، ما يزال مفضلا، وهو الذي يرتكز على تسمّع **الاصنام**... في العالم من الأصنام أكثر مما فيه من الحقائق: هذا ما علّمتنيه ال"عينُ اللاّمة" التي ألقيها على العالم، وكذلك ال "أذن الشريرة" التي اصغي بها اليه. هنا ايضا، تكون المساءلة بضربات مطرقة و، من يدري، أن تكون جبايةُ كل جواب "تجويفَه" الفاخر هذا، الذي يدل على احشاء فارغة -متعة وأي متعة للذي يملك عدا اذنيه، آذانا أخرى، بالنسبة لي أنا عالم النفس الحاوي، الذي يعرف كيف **يرغم**، كل ما يرغب في الصمت، **على الكلام بصوت عال.**

هذه الصفحات -كما يشيء بذلك العنوان - هي قبل كل شيء تسلية، لفحة شمس، أو فسحة في خضم وقت الفراغ الدراسي لدى عالم النفس. ربما تعلن كذلك عن حرب جديدة؟ وربما تسمح لنا بالاصغاء الى اصنام جديدة؟... إن هذا الكتيب **إعلان كبير للحرب.** أما الاصنام التي يتعين الاصغاء اليها، فهي ليست هذه المرة اصنام العصر، إنها اصنام

(*) الازدياد قوة، القوة تعني الاخضرار. (م)

خالدة، نضربها هنا بالمطرقة كما لو بمعيار النغم -ليست هناك اصنام اقدم منها، اشد وثوقية منها فيما فعلته، أكثر منها تعجرفا بأهميتها... وليست هناك اصنام افرغ منها... وهذا لا يمنعها من أن تكون هي الاصنام التي **يؤمن بها** الناس أكثر. ومع ذلك فإن الناس لا ينادونها، خصوصا اكثرها تميزا، بالاصنام...

تورينو 30 شتنبر 1888
اليوم الذي تم فيه الكتاب
الاول من **قلب جميع القيم**

حكم وإشراقات

1

الفراغ أمّ كل علم النفس. واما بعد، ايكون كل علم نفس... مَفسدة؟

2

حتى اشجعنا نادرا ما يملك شجاعة تحمُّل كل ما يَعْلم...

3

لكي يعيش الانسان وحيدا، عليه أن يكون حيوانا، أو إلها، قال ارسطو. تبقى حالة ثالثة، عليه أن يكون الاثنين معا... **فيلسوفا**...

4

كل حقيقة بسيطة. أليس هذا افتراء مُضاعَفًا؟

5

ثمة اشياء أود، نهائيا، الا أعرفها **قط**. فالحكمة تحدد تخوما حتى للمعرفة.

6

ما أقول ! ليس الانسان سوى احتقار للإله! أم أن الاله احتقار للانسان.

8

ما لا يقتلني يقويني.. **تعلمته في مدرسة الحياة الحربية.**

9

تآزَرْ يؤازرك الكل. هذا مبدأ حب القريب.

10

لا يعننّ لكم أنكم حقيرون بخصوص تصرفاتكم، وأن عليكم أن تهملوها بمجرد وقوعها!... فتبكيت الضمير غير لائق.

11

هل يمكن لحمار أن يكون تراجيديا؟... أن يهلَك تحت ثقل لا يمكن حمله ولا الالقاء به؟ ... تلك حالة الفيلسوف.

12

عندما يعرف المرء "ما الغاية؟" من حياته. فإنه يرتاح تقريبا لكل "كيف؟" إن الانسان لا يصبو الى السعادة. وحده الانجليزي يفعل هذا.

13

الرجل هو الذي خلق المرأة. ممّ إذن؟ من ضلع الهه – من "مثاله"..

14

ماذا؟ أتسعى الى أن تتضاعف عشر مرات، مائة مرة؟ أتبحثُ عن مريدين؟ – فتّش إذن عن أصفار!

15

إن الرجال البَعديّين – أنا، على سبيل المثال– نفهمهم اقل بكثير من أولئك الذين يسايرون زمنهم، لكننا نفهمهم أكثر. وبحصر المعنى، لم يسبق لنا أن فُهِمنا ابدا – وثمة مصدر سلطتنا.

16

فيما بين النساء: الحقيقة؟ آه، انكن لا تعرفن الحقيقة! أليست انتهاكا لكل حرماتنا *؟

---

* وردت كلمة "حرماتنا في النص الاصلي باللغة الفرنسية. وسائر الكلمات التي يعقبها هذا الترقيم (م)

17

هذا فنان كـمـا أحبُّ أن يكون الـفنانون .. مـتـواضع في ضـرورته الطـبـيـعـيـة. في الاصل، لا يطلب إلا شـيـئين اثنين Panem et circen[1]

18

الذي لا يعـرف كـيف يوظـف إرادته في الاشـيـاء يضـفي عليها **معنى** مـا على الاقل.. فـذلك يوهم بأن ثمـة فـيهـا إرادة مسبقا (أساس ال "ايمان").

19

كيف اختـرتم الفضيلة والاحاسيس المتحمسـة، وتطمعون، في الآن ذاته، في امـتـيـازات الاقلِّ تشكّكا؟ - لكن باخـتـيـار الفضيلة، نتخلى عن كل ال "امتيازات"- (لمقاوم السامية).

20

المرأة المتكاملة تقترف الادب كما تقتـرف خطيئة غير مميتة، على سبيل التجربة، بلا إلحاح، بالتفاتها لكي ترى هل لحظناها، أو **لكي** نلاحظها...

---

(1) خبزه وألعابه (م)

21

علينا أن نضع أنفسنا دائما في حالات لا يُقبل فيها امتلاك فضائل مزيفة، لكن، كما البهلوان على الحبل، حيث لا يمكن إلا أن نقع او نتماسك - أو نتخلص من ذلك...

22

" الافظاظ لا يغنون" كيف يعقل أن يغني الروس؟

23

"العقل الالماني" هو، منذ ثمانية عشر سنة، في

1-Contraditio in adjecto

24

بعودتنا الى الاصول نصنع من أنفسنا سرطانا. المؤرخ ينظر الى الوراء: أخيرا، ينتهي به الامر الى أن **يؤمن** القهقرى.

25

الاشباع يقي حتى من الزكام - هل سبق لامرأة مكسوة جيدا أن اصابها برد؟-(أو حتى إن كانت مكسوة بالكاد؟).

26

احتاطُ من كل صانعي الانظمة واتحاشاهم. ان روح النظام نقصٌ في النزاهة.

(1) في تناقض مع ذاته (م)

27

يعتبر الناس المرأة عميقة. لماذا؟ لانهم لا يلمسون العمق لديها أبدا. المرأة ليست **حتى** مسطحة.

28

عندما تكون للمرأة فضائل ذكورية يجب تجنبها. وعندما لا تكون لها فضائل ذكورية، فهي التي تهرب.

29

" فيما مضى، كم كان الوعي يجدُ ما يقضمه! كم كانت اسنانه قوية! والآن ما الذي ينقصه؟ "سؤال طبيبِ اسنان.

30

نادرا ما نرتكب فعلا واحدا طائشا، ذلك اننا في البدء نفرط في التصرف على ذلك النحو. لهذا دأبنا على تكرار الجرم، وهذه المرة بأقل مما فيه الكفاية...

31

الدودة التي ندوسها تنطوي على نفسها. انها الحكمة عينها. انها بذلك تختزل امكانيات ان ترى نفسها مداسة مجدّدا، يسمى هذا في لغة الاخلاقيين: **تواضعا**.

32

هناك نوع من كره الكذب والرياء نابع من معنى حاد للشرف. غير أن نفس الكره يمكن ايضا أن يكون محضَ جُبن، عندما يكون الكذب محرما بأمر الهي. من فرط جبنه لا يكذب...

33

كم تتوقف السعادة على القليل من الاشياء! يقول صوت مزمار القربة... دون موسيقى تغدو الحياة خطأ. إن الالماني يتصور الاله بنفسه يرتل الاناشيد.

34

"لا يمكن ان نفكر أو نكتب الا جالسين" * (غوستاف فلوبير). – تمكنتُ منك، أيها العدمي! ان تكون ذا مؤخرة ثقيلة فتلك، بامتياز، خطيئة في حق العقل. وحدها الافكار التي تأتينا ونحن ماشون لها قيمة ما.

35

ثمة حالات نتصرف فيها كالخبل، نحن علماء النفس، ويداهمنا فيها القلق: نبصر ظلنا يتراقص امامنا. على عالم النفس ان يكف عن النظر الى **ذاته** إذا أراد أن يبصر.

36

هل نسيء حقا، نحن اللاأخلاقيين، للفضيلة؟ قليلا، مثلما يفعل الفوضويون للأمراء. فهؤلاء لم يتوطدوا على عروشهم إلا بعدما اصبحوا هدفا. المغزى: أن نرمي **الاخلاق**.

37

أتسير في المقدمة؟ هل أنت راعي القطيع؟ ام أنك استثناء؟ إلا أن تكون، وهي امكانية ثالثة، جبانا؟... حالة الوعي **الاولى**.

38

هل أنت صادق؟ ام مجرد هزلي؟ أتمثل شيئا ما؟ ام أنك أنت الممثِّل؟ في النهاية، قد لا تكون سوى محاكاة للممثل... حالة الوعي **الثانية**.

39

الخائب الظن يتحدث: أبحث عن رجال عظام، وما وجدت سوى رجال **يقلدون** مثلهم الاعلى.

40

أأنت من الذين يشاهدون العرض، أم من الذين ينجزون عملا ما بأنفسهم؟ أم من أولئك الذين يغضون الطرف، يتنحّوْن جانبا؟ حالة الوعي **الثالثة**.

41

هل تريد أن تسير مع القطيع؟ في المقدمة؟ أم بجنبه؟!... يجب أن نعرف **ماذا** نريد وأننا نريد شيئا ما. حالة الوعي **الرابعة.**

42

لقد كانوا بالنسبة الي عبارة عن ادراج استعملتها لكي أرتقي - كان لزاما علي، من أجل هذا، أن أعبُر فوقهم، ان اتجاوزهم. غير أنهم كانوا يظنون انني سأستريح فوقهم...

43

غيرُ مهم ان ينتهي الامر بالناس الى تصويبي، فأنا على صواب قليل. والذي يضحك اليوم جيدا سيكون آخر من يضحك.

44

صيغة سعادتي : "نعم"، "لا"، خط مستقيم، **هدف**...

قضية سقراط

1

لقد حمل اعظم الحكماء، في كل عصر، نفس التصور عن الحياة: **انها عديمة القيمة...** لما يقولونه عنها، دائما وفي كل مكان، نفس النبرة، نبرة شك، كآبة مبهمة، ضجر من الحياة، مقاومتها. سقراط نفسه، لحظة احتضاره، قال: "ما الحياة سوى مرض عضال، انا مدين بديك لأسليبيوس المخلِّص. "سقراط نفسه كان قد أنف من الحياة. علام يدل ذلك؟ ماذا يؤكد؟ فيما مضى، كنا سنقول (اوه، لقد قلنا ذلك، وبصوت عال، متشائمونا في المقام الاول) "لابد، مع ذلك، أن يكون ثمة شيء حقيقي في كل هذا إن Consensus Sapientium [1] يثبت الحقيقة" هل يمكننا، اليوم كذلك، ان نقول بمثل هذا؟ هل لنا **الحق** في

---

(1) اجماع الحكماء (م)

ذلك؟ ... "لابد ان ثمة علة في كل هذا!" -ذاك جوابنا، يلزم ان نشاهد هؤلاء الحكماء العظام عن كثب! لعلهم كانوا جميعا غير ثابتين على اقدامهم؟ ربما كانوا من طراز متأخر؟ متذبذبين؟ منحطين*؟ لعل الحكمة لا تظهر على الارض الا على هيأة غراب يهيجه عفن جيفة مكتوم؟...

2

اما فيما يخصني، لان ما ألهمني وقاحة اعتبار الحكماء العظام **أمثلة** للانحطاط هو بالضبط الحالة التي يكون فيها الانحطاط في أشد تناقض مع احكام المثقفين والاميين المسبقة: لقد عرفت كيف اكشف، لدى سقراط وأفلاطون، اعراضَ فساد الاصل، دلائل تدهور الهلينية، الاغريقيين المزيفين"، "المضادين للإغريق" (ميلاد التراجيديا1872).

إن إجتماع الحكماء هذا -الذي صرت افهمه افضل: يدل بالاحرى على أنه كان يوجد فيما بين هؤلاء الحكماء جميعهم وفاق من نوع **فزيولوجي** يؤدي بهم الى تبني نفس الموقف السلبي اتجاه الحياة- وإلى **عجزهم** عن فعل اي شيء بخلاف ذلك - إن احكاما ما، أحكام قيمة عن الحياة، مع أو ضد الحياة، لا يمكنها ابدا ان تكون حقيقية، في نهاية المطاف: لا قيمة لها الا كأعراض لا تستحق أن تؤخذ بعين الاعتبار الا كأعراض، ذلك أن احكامًا مثل هاته ليست، في حد ذاتها،

سوى حماقات. على المرء أن يكلف نفسه عناء ملامسة هذه الرقة المدهشة وأن يحاول الامساك بها: لن يمكن تقييم قيمة الحياة. ليس من طرف حي، لأنه جزء من الخلاف، بل موضوع خلاف، ثم لأنه ليس قاضيا؛ ليس من طرف ميت، لسبب مخالف تماما. أن يرى الفيلسوف، من جانبه، في قيمة الحياة معضلة، هو ذا ما يَنْطق ضده، هو ذا ما يضع حكمته موضع شك، أو يؤكد لا حكمته. ماذا؟ ألن يكون كل الحكماء العظام سوى **منحطين*** لن يكونوا حتى حكماء؟ لكنني أعود إلى قضية سقراط.

3

كان سقراط ينتمي، بالولادة، الى أكثر الدهماء دونية: كان سقراط رَجل الشعب. نعرف، ويمكن كذلك ان نلاحظ كم كان سمجا. لكن القبح، الذي كان في حد ذاته اعتراضا، كان بالنسبة للاغريق مبرر رفض، تقريبا. من جهة اخرى، هل كان سقراط اغريقيا؟ غالبا ما تكون السماجة تعبيرا عن تهجين، عن نمو معاق بفعل التهجين. في حالات اخرى تكون شهادة على تطور **منحرف**. الإناسيون من بين علماء الاجرام يقولون لنا إن المجرم المميز سمج:Monstrum in animo [1] monstrum in fron . بل المجرم منحط*. هل كان سقراط

---

(1) قبيح الخلقة، قبيح الاحساس / القلب (م)

مجرما مميزا؟ على أية حال، لن يكون ذلك مناقضا لهذا الحكم الشهير الذي نطق به فراس، ووجده اصدقاء سقراط جارحا. خلال مروره بأثينا، قال غريب خبير بالوجوه لسقراط، مباشرة، بأنه قبيح وبأنه ينطوي على اقبح العيوب وأسوأ الشهوات. وقد اكتفى سقراط بأن اجاب: "لشد ما تعرفني جيدا!"

4

إن ما يُعتبر علامة انحطاط لدى سقراط، ليس الاضطراب الفوضوي للغرائز الذي كان قد اعترف به فحسب، بل كذلك تضخم ملكة الجدل **وخبث الكسيح** الذي يميزه. لا يجب ان ننسى ايضا تلك اللوثات السمعية، والتي تم تأويلها دينيا تحت اسم "الجن السقراطي". كل شيء فيه زائد عن حده، Buffo [1] ، كاريكاتوري، لكن في الآن ذاته كل شيء مستتر، مبروم، غامض. انني اجهد نفسي لمعرفة المزاج الذي وجدتْ منه هذه المعادلة السقراطية: عقل =فضيلة= سعادة، اغرب المعادلات الممكنة، والتي تقابلها، على الخصوص كل غرائز الاغريق القدامى.

6

لا نوثر الجدل إلا إذا عدمنا وسائل اخرى. نعرف اننا نثير به الحذر وانه يُقنع قليلا. لا يوجد هناك شيء تسهل إزالته مثل

---

(1) ضفدع (م)

تأثير المنطيق ؛ ذلك ما تؤكده تجربة كل اجتماع يخطب فيه الناس . لا يمكنه أن يكون إلا سلاح صدفة بين يدي اليائسين الذين لا يملكون أسلحة أخرى . و لا يلجأ المرء إلى ذلك إلا إذا كان عليه أن **ينتزع** حقه عنوة . لهذا كان اليهود مناطيق . كذلك كان Maître Renart . ثم ماذا؟ سقراط ايضا؟

7

هل كانت سخرية سقراط تعبيرا عن تمرد؟ عن ضغينة عامية؟ هل كان المقموع الذي كانه، يلتذ بضراوته الخاصة لدى كل طعنة من الجدل الشكلي؟ هل كان يثأر من الأرستقراطيين الذين كان يفتنهم؟ ان بين يدي المنطيق اداة تطال كل شيء. يسوّغ لنفسه التشبه بالمستبدين: بانتصاره يعرض الخصم للخطر. يفوض المنطيق الى خصمه البرهنة على أنه ليس غبيًا: يفجر سخطه، يصيّره أعزل في الآن ذاته. إن المنطيق يشل عقل غريمه. ماذا؟ ألن يكون الجدل لدى سقراط سوى شكل من أشكال الانتقام؟

8

لقد لِحَنْتُ ما كان يمكن ان يظهر سقراطُ فيه مثيرا للاشمئزاز، فلا غنى عن تفسير قدرته على الفتنة. أحد الاسباب انه اكتشف ضربا جديدا من ال"مصارعة"، وأمسى فيها المحارِب الاول في الأوساط الارستقراطية الاثينية. لقد فتن الاغريق بالتوجه الى غريزة "المصارعة" لديهم. ادخل تنويعا في ألعاب الميدان بين الفتيان والشباب. كان سقراط كذلك **ايروسيا** كبيرا.

9

لم يكن هذا هوحدس سقراط الوحيد. لقد أبصر ما كان يحتجب وراء نبلاء اثينا. فهم ان حالته، ان خاصية حالته لم تعد بعد حالة منعزلة. كان نفس النوع المنحط يتهيأ في صمت في كل مكان: أثينا القديمة كانت تقترب من حتفها. وقد ادرك سقراط ان الكل كان بحاجة اليه -بحاجة الى اسلوبه، الى معالجته، الى وصفته الشخصية حول حفظ النوع... في كل مكان كانت الغرائز تغرق في الفوضى؛ في كلّ مكان كان الانسان يشرف على المغالاة. كان الخطر الكوني هو Monstrum in animo. لقد أرادت الغرائز أن تستبد: يجب إذن ان نختلق مستبدا مضادا يكون اقوى منها"... عندما كشف ذلك الفرّاس الشهير لسقراط ما كان عليه، كهفا من الشهوات القبيحة، نطق الساحر الكبير بكلمة تمثل مفتاح الشخصية." صحيح، قال، غير أني سيطرت عليها كلها". **كيف** سيطر سقراط على نفسه؟ إن حالته لم تكن في الحقيقة سوى الحالة القصوى، تلك التي كانت تظهر للعيان، حالة شر عام كان آنئذ قد بدأ ينتشر: لم يعد أحد يتمالك نفسه: كانت الغرائز تنتصب ضد بعضها البعض. إذا كان يفتن فلأنه كان هذه الحالة القصوى التي كان قبحه الفظيع يعبر عنها في نظر الكل: غير انه كان يفتن اكثر، هذا مسلم به، لأنه كان جوابا، حلا، مظهرا مضلِّلا **للشفاء** من هذا الداء.

10

عندما نكون بحاجة الى أن نجعل من العقل مستبدا، كما فعل سقراط، فلا بد ان يكون خطر رؤية كل شيء آخر يتظاهر بالاستبداد، كبيرا: في تلك الحقبة احس الناس فطريا بأن العقلية (Rationalité) كانت الامل الاخير للخلاص: فلا سقراط ولا "مَرْضَاهُ" اختاروا طوعا أن يكونوا منطقيين –كان ذلك– لازما بالنسبة اليهم، كان ملاذهم الاخير. ان التعصب الذي يهاجم به كلٌّ الفكر التأملي الاغريقي العقلية يكشف عن ضيق حقيقي. كان الانسان في خطر، ولم يكن له من اختيار سوى الاضمحلال او التظاهر بأنه **منطقي حتى العبث**...ان اخلاقية الفلاسفة الاغريق انطلاقا من افلاطون محددةٌ بدوافع مَرَضية. كذلك الحالة التي يخْلُقونها من الجدل. إن المعادلة: "عقل=فضيلة=سعادة" تعني فقط: يجب ان نفعل مثل سقراط، وان نقيم ضد الشهوات المظلمة نورا سرمديا: نور وضح نهارالعقل. يجب ان يكون المرء صاحيا، واضحا، منيرا، مهما كان الثمن؛ كل تنازل لصالح الغرائز، لصالح اللاشعور، يقود **الى الهاوية**...

11

لقد لحنت في اي شيء كان سقراط يفتن: كان يبدو طبيبا، مخلِّصا. أما يزال ضروريا إبطال الخاطئ في إيمانه ب"عقلية

مـهمـا كان الثـمن"؟ من جـهة الفـلاسفـة والاخـلاقيين يعـتبـر الاعـتـقـادُ بـالانفـلات من **الانحطاط** بمجـرد التـحـيـز ضـده، انخـداعا. ليس في مـقدورهم الانـفلات منه: إن مـا يختـارونه كـوسـيلة، كـأمل اخـيـر للخـلاص، ليس في نهـاية المطاف الا مظهـرا من مـظاهر **الانحطاط-يبدلون** التـعـبـيـر عن ذلك، لا يلغونه. سـقراط، في كليته، يقوم عـلى سوء فهم. **كل اخلاقية الكمال، بما فيها المسيحية، تقوم على سوء فهم**... إن النـورَ الاكثـر تعمـية، إن العقلـية مهـما كـان الثمن، الحيـاة المشبـعة، الباردة، النبيهة، الواعيـة، المجردة من الغرائز، المقاومة للغرائز، لم تكن الا مـرضا في حد ذاتـها، مرضـا آخر، لم تكن ابـدا عودة الى ال"عافـية"، الى "السـعادة"... **ان يرغـم المرء على مقـاومة** غـرائزه - تلك هي صيـغة الانحطاط* مادامت الحياة تسلك منحنىً تصاعديا، فالسعادة تساوي الغريزة.

12

... هل فهم هو نفسـه ذلك، هو الاكثر دهاء من بين كل اولئك الذين خـدعوا انفـسهم؟ هـل اعتـرف بذلك لنفسـه في اللحظة الاخيرة، في **حكمة** جسـارته على الموت؟... لقد أراد سقراط ان يقضي نحـبه: - ليست اثينا، انه **هو نفسه** الذي مد لنفسـه كـأس سم الشـوكـران، لقـد ارغم اثيـنا على ان تمدها اياه... "سـقراط ليس طبـيبـا، همس لنفـسه: وحـده الموت هو الطبيب.. اما سقراط فلم يكن الا مريضا لزمن طويل..."

الـ «عقل » في الفلسفة

1

ستسألوني عن كل ما يتعلق، لدى الفلاسفة، بالمزاج؟ إنه، مثلا، غياب الحس التاريخي لديهم، حقدهم على فكرة الصيرورة نفسها، "مِصرْيّتهم". يعتقدون انهم **يمجدون** قضية ما ب "تجريدها من تاريخها"، باعتبارها Aeternie Sub[1] Specie ، بتحنيطها. كل ما دبره الفلاسفة منذ ألفيات لم يكن سوى موميات افكار؛ لاشيء حقيقي خرج حيا من بين ايديهم. عندما يتدله هؤلاء السادة المولوعون بالمفاهيم المجردة يقتلون، يحشون بالقش، يعرّضون كل شيء لخطر الموت. الموت، التحول، الهرم، كما الانجاب والنمو، تثير لديهم معارضة ما، إن لم نقل دحضا! ما هو كائن لا **يصير**، ما يصير غير **كائن**...ومع ذلك يؤمنون جميعا، وبقوة اليأس، بالكينونة.

1-تقترب من مظهر الخلود. (م)

وبحكم أنهم يعجزون عن ادراكها، يبحثون عن مبررات لتفيسر كونها تنفلت منهم. "يلزم ان يكون هناك ظاهر خادع، ان يكون هناك خداع، حتى لا ندرك الكينونة! أين يكمن ما يخدعنا إذن؟ (...) خبرناه، يصيحون بذهول، إنها الحواس!...هذه الحواس **التي هي، فضلا عن ذلك، جد لا أخلاقية،** تضللنا بخصوص العالم **الحقيقي**. المغزى: يجب التحرر من وهم الحواس، من الصيرورة، من التاريخ، من الرياء! ليس التاريخ سوى ايمان بالحواس، ايمان بالكذب. المغزى.. أن تقول لا لكل اؤلئك الذين يؤمنون بالحواس، لبقية البشرية جمعاء: ليست الا "دهماء"! إذن أن يكون الانسان فيلسوفا، أن يكون مومياء، أن نرمز ل " الوحدانية الرتيبة" بإيمائية قبّار! ولا يتحدثن إلينا، خصوصا، عن **الجسد** -هذه **الفكرة المتسلطة*** والمحزنة عن الحواس! – الملطخ بكل الاخطاء المنطقية الممكن تصورها، المرفوض، بل المستحيل **رغم** وقاحة تصرفه وكأنه موجودا...

2

استثني اسم **هيراقليط،** مع كامل الاحترام الواجب له. في الوقت الذي كانت فيه بقية النسل الفلسفي ترفض شهادة الحواس لأنها تبدي التنوع والتحول، كان هو كذلك يرفض شهادتها، لكن لأنها كانت تعرض المواضيع وكأنها موهوبة

الواحدية والديمومة. لقد كان هيراقليط هو الآخر جائرا بالنسبة للحواس. فهذه لا تكذب إطلاقا. إن ما **نفعله** بشهادتها هو الذي يقحم فيها الافتراء، هو سبب تشويهنا لشهادة الحواس. مادامت الحواس تكشف عن الصيرورة، عن اللاثبات، عن التحول، فإنها لاتكذب غير أن هيراقليط سيظل أبدا على صواب عندما جزم بأن الكينونة وهم بلا معنى. وحد ه العالم "الظاهر" هو الموجود، وما العالم "الحقيقي" سوى **كذب** نضيفه إليه.

3

وفي حواسنا، كم نملك من ادوات دقيقة للملاحظة! هذا الانف، مثلا، الذي لم يسبق لأي فيلسوف أن تحدث عنه بتوقير وامتنان، هو الآن أكثر الادوات التي نمتلكها رهافة.. إنه قادر على أن يتبين في الحركة ادنى الاختلافات التي لا يكتشفها مطياف[1] . ليس لنا، في اللحظة الراهنة، عالم الا في النطاق الدقيق حيث عزمنا على قبول شهادة حواسنا –حيث نستخذمها مرة أخرى، نقويها، حيث تعلمنا أن نذهب إلى أقصى معرفتها. أما البقية كلها فمجهضة، أو ماتزال قبل –علمية.. أعني الميتافيزيقا، اللاهوت، علم النفس، الابستمولوجيا –أو علما شكليا صرفا، نظرية علامات: كعلم المنطق، وهذا المنطق التطبيقي، أقصد الرياضيات. لا وجود فيها

للواقع ابدا، ولو كمسألة، كما لا وجود فيها لمسألة معرفة قيمة اصطلاحٍ سميولوجي مثل المنطق.

4

ليس الطبع **الآخر** للفلاسفة اقل خطورة: فهو يرتكز على الخلط بين ما يتقدم وما يتأخر. إن ما يتأخر، لسوء الحظ، لأنه ما كان ليحدث أبدا، أعني المفاهيم "السامية" أي العامة جدا، آخر سديم الواقع المتبخر، يصنفونه في البداية، **وبمثابة** بداية. هنا ايضا، لايزيد هذا عن ترجمة طريقتهم في احترام الاشياء المقدسة: بالنسبة اليهم، **لا يليق** بال «أعلى» ان يولد وأن ينمو...المغزى: كل ما هو من الطراز الاول يجب أن يكون causa sui. [1] عيب بالنسبة اليهم، ان يولد في شيء آخر، ذلك ينقِّص من قيمته. كل القيم السامية من الطراز الاول، كل المفاهيم السامية، الكينونة، المطلق، الخير، الحق، الكمال، لاشيء منها امكنه أن يكون «في صيرورة»، وبالتالي لا **يجب** أن يكون سوى causa sui . بل لا يمكن لاي واحدة من هذه المجردات أن تكون غير معادلة للأخريات، أو في تناقض معها.. من هنا فكرتهم المدهشة عن «الاله»... إن الاخير، الاضعف، الافرغ، هو ما نضعه في الاصل، كعلة في ذاته، كـ ens realis-simum ... عندما نفكر في كون البشرية قد اخذت هذيانات هذه الادمغة مأخذ الجد! وأي ثمن أدت عن ذلك...

(1) علة في ذاته (م)

5

الآن سنقابل هذا بالطريقة المختلفة تماما التي نفكر بها نحن (أقول «نحن» من باب الادب) في قضية الخطأ والصواب. فيما مضى، كان التطور، التحول، الصيرورة، هو ما نعتبره دليلا على الخاصية الخادعة للظاهر. نعتبره علامة على وجوب وجود شيء ما يخدعنا، إننا الآن، على عكس من ذلك، في النطاق الدقيق الذي يفرض علينا فيه الحكم العقلاني المسبق أن نعمد الى الوحدة، الى الهوية، الى الديمومة، الى الماهية، الى السببية، الى الموضوعية، الى الكينونة، نتبين أننا، بشكل ما قد وقعنا في الخطأ، اننا **مُكرهون ومُجبَرون** على الخطأ، الى حد أن تحقيقا صارما قمنا به حول انفسنا قد اقنَعَنا بإن **ثمة** يكمن الخطأ. هنا يجري الامر كما بالنسبة لحركة الشمس: في هذه الحالة الاخيرة عيوننا هي التي لا تكف عن الدفاع عن الخطأ، في الاولى، **لغتـ**ناهي التي تقوم بذلك. إن اللغة، بحكم أصلها، تعود إلى ازمنة شكلِ علمِ النفس الاكثر بدائية: ان نعي الظروف الاولى لميتافيزقا اللغة، او على الاصح، لل**عقل**، يعني ان نتعمق في ذهنية مُتيَمة[1] بغلاظة. انها لا ترى، في كل مكان، سوى افعال وكائنات فاعلة، تؤمن بالارادة كعلة، تؤمن بال «أنا»، بال «أنا» بما هو كينونة، بال «أنا» بما هو ماهية، وتُسقِط على سائر الموضوعات إيمانها بماهية الانا– هكذا يُخلَق

مـفـهومُ ال «شيء» ... فـي كل مكان، بخـداع، يدخل الفكر الكينونة بما هي علة. فقط انطلاقا من مفهوم ال «ذات» نستعير فكرة ال«كـائن» اشـتـقاقـا. لقـد كـان الخطأ المميـت، في بدء الاشـيـاء هو الاعـتـقـاد بأن الارادة شيء **يفعل** -بـأن الارادة **ملكة**... اليوم، نعـرف انها مـجرد كلمة... فيمـا بعد وبوقت طويل، في عالم «مستنير» اكثـر، اكتشف الفلاسفة، باندهاش، **الامان، اليقين** الذاتي في استـعـمـال المـقـولات العـقـلانيـة: اسـتـخلَصـوا انهـا لا يمكن ان تنبثق من الـتـجربـة المبنيـة على الملاحظة والاختـبار، ذلك أن تلك التـجـربة كـانت تتعـارض فيها. من **اين تنبثق إذن؟** في الهند كمـا في السودان تم ارتكاب نفس الخطأ: كـان ينبغي ان نقـيم في عالم علوي (عـوض عالم ادنى، وهو مـا كان سـيكون الحقـيقـة)، كان ينبـغي ان نكون إلهيّين

ما دمنا قد وهبنا العقل!... في الحقـيقة، لاشيء ابدا كانت له قدرة الاقناع الاكثر سذاجة مثل خطإ الكينونة، مثلما صاغه الايليّون، على سـبـيل المثـال: ذلك أنه يحـوز كل كلمـة، كل جملة نتلفظ بها. خصوم الايليين انفسـهم قد استسلموا لإغراء مفهومهم عن الكينونة: ديمقـريط،من بين آخرين، عندما اخترع **ذرته** ...ال «عقل» في اللغـة: يالها من عـجوز كريهـة مضللة! أخشى الا يكون بإمكاننا التـخلص من الاله، لاننا ما زلنا نؤمن بالنحو.

6

سيعترف الناس لي بالجميل ولا شك، لكوني اوجزت في اربع اطروحــات وجـهـة الـنظر هذه، المهــمـة بهـذا المـقـدار، والجـديدة بهـذا الوجـه: بـذلك سـأبسّط فـهـمـهـا وأدعـو الى دحضها:

الاطروحة الاولى:

إن البراهين التي نعتمد عليها لنصف "هذا" العالَم بالظاهر تثبت بالعكس حـقيقتـه - يستحيل مطلقـا ان نقيم الدليل على نوع آخر من الحقيقة.

الاطروحة الثانية:

إن العــلامـات المميّزة الـتي نسندها الى "الوجــود الحق" للاشياء هي علامات مميزة للاّ وجود، لل "**عدم**" - **لقد اوجدنا "ال**عالم الحق" بمخـالفتنا للعالم الحـقيقي: انه في الحـقيقـة عالم ظاهر، في نطاق كونه وهم **وجهة نظر واخلاق.**

الاطروحة الثالثة:

ان نخرِّف عن عالم آخر غير عالمنا مسألة لا معنى لها، الا إذا افترضنا ان غـريزة تحقير الحـياة، تَنَقُّصِها والارتياب فيـها قد تكون لهـا الـغلبـة فـينا. اننـا، في هذه الحـالة، **ننتقم** من الحـياة بمواجهتها بمشهد خارق من حياة "**اخرى**" و"افضل".

الاطروحة الرابعة:

إن تقسيم العالم الى عالم "حقيقي" و "عالم ظاهر" سواء على الطريقة المسيحية، او على طريقة كانط (الذي ليس في نهاية الامر سوى مسيحي **مستتر**)، لا يمكن ان يصدر الا بإيعاز من **الانحطاط** *، ولا يمكن ان يكون الا علامة حياة **آفلة**... وكون الفنان يرفع الظاهر فوق الحقيقة لا يبرهن عن اية معارضة لهذه الاطروحة. لان ال "ظاهر" هنا يعني كذلك الحقيقة **مكررة**، لكنها منقاة، مدعمة، مصححة... الفنان التراجيدي **ليس** متشائما، فهو يقول "نعم" بالضبط لكل ما هو اشكالي ومرعب، انه **ديونيسي**...

حتى نختم، كيف غدا
ال "عالم الحقيقي" خرافة.
تاريخ خطأ

1- العـالـم الحـقـيـقـي، الذي يسـهُل بلوغُه علـى الانسـان الحكيم، الورع، الفاضل -يحيا فيه، **انه هذا العالم.**

(أقْدم شكل للفكرة، أنهـا فَطِنة نسـبيـا، سـاذجة، مُقنْعـة. تفسير العبارة: "انا، افلاطون **هو** الحقيقة")

2- العالم الحقيقي، المنيع الآن، لكن الموعودُ به الانسان الحكيم، الورع الفاضل ("المذنب الذي يتوب.")

(تقدُّم الفكرة: تترقى، تمسي اكثر استهواء، اكثر انفلاتا - **تصبح امرأة**، تصبح مسيحية...)

3- العالم الحقيقي، المنيعُ، الذي لا يمكن ادراكه ولا اقامة الدليل عليه ولا الوعـد به، لكن الذي يكون مجردُ التفكيـرِ فيه عزاءً، التزاما، امرا قطعيا.

(الشمسُ القديمة في القعر لكن المخترقة للضّباب والشكوكية: الفكرة وقد اضحت رائعة، شفافة، شمالية، كونيغسبرغية (*))

4- العالم الحقيقي -منيعٌ؟ على اية حال، غير مُدرَك بعد. وبما انه غير مدرك فهو **مجهول**. لا يمثّل عزاء ولا التزاما: فيمَ سنُلْزَم من طرف شيء نجهله؟

(فجرٌ رمادي. اول تثاؤب للعقل. صيحة ديك الوضعية).

5- ال" عالم الحقيقي" فكرة لم تعد صالحة لاي شيء. لم تعد تدعو لاي شيء -فكرة غير نافعة، غير مجدية، **اذا** فكرة مرفوضة: لنبطلها.

(طلع النهار، فطور، عودة **الحس السليم*** والمرح. حمرة خجل تعلو جبين افلاطون، كل العقول الحرة تحدث ضجيجا فظيعا).

6 – لقد أبطَلْنَا العالمَ الحقيقي: اي عالم تبقّى؟ لعله الظاهر ؟ لا ! **لقد ابطلنا عالم المظاهر مع العالم الحقيقي في الآن ذاته!**

(الظهيرة: ساعة الظل الاقصر، نهايةُ أطول خطأ. ذروة البشرية ZARATHUSTRA INCIPIT[1]

---

(1) مستهل زارادشت (م)

Koenigsbergienne (*)

الاخـلاق

طبيعـة مضـادة

1

لكل النزوات زمنٌ تكون فيه مـضرة، تجذب فيه ضحـيتها الى الاسفل بكل ثقل البلاهة، وزمن آخر، متأخر جدا، تتآلف فيـه مع الروح، "تَتَرَوْحَنُ". كان الانسـان فيـما مضى، بـسبب من الحماقة الكـامنة في النزوة، يكبت النزوة ذاتها، كان يُقْسم على هلاكـها. كل وحشـيي الطباع الواعظـين تُجمِع اراؤهم : **يجب ان نقضي على النزوات** " (*) توجد اشهرُ عبارة في العهد الجـديد، في "مـوعظة على الجـبل". حـيث، بين قـوسين، لم تُرَ الاشياء **من عل** اطلاقا. قـيل هناك، على سبيـل المثال- وينطبق هذا على الجنسـانـيـة-: اذا كـانت عـينك مـوضـوع ذنب لك فاستَأصلْهـا". من حسن الحظ أن اي مـسيـحي لم يعمل بـهذا الامر. إن **استئصال** النزوات والشهوات فقط لاتِّقاء حماقتها أو

النتائج المغضبة لحماقتها يبدو لنا اليوم مجرد شكل صارخ من الحماقة. اننا لا نستحسن ابدا اطباء الاسنان الذين **يقتلعون** الاسنان كي تكف عن الايلام... يجب مع ذلك ان نعترف بأن الارضية التي نمت فيها المسيحيةُ لم تكن فكرة "**روْحنة** النزوة" ذاتها حتى لِتَتَصَوّرَ فيها. لقد كانت الكنيسة الاصلية، كما هو معروف، تقاوم ال "اذكياء" لصالح "ضعيفي النباهة": كيف كان سيُنتَظر منها حرب" ذكية ضد النزوة؟ إن الكنيسة تحارب النزوة بِبَتْرِها، بكل معاني الكلمة. ان ممارستها، "معا لجتَ" ها، هي ال"اخصائية". انها لا تسأل ابدا: "كيف يمكن لنا ان نروحن شهوة ما، ان نجمِّلها، ان نمجدها؟ لقد اكدت في تربيتها دائما على الاستئصال (استئصال الشبقية، الكبرياء، ارادة الامتلاك، الجشع، الرغبة في الانتقام). إن مهاجمة النزوات من الجذر تعني مهاجمة الحياة من الجذر، ان praxix[1] الكنيسة معاد للحياة.

2

إن الذين ليست لهم ارادة كافية لكبح شهوة ما، أو لا يستطيعون الزام انفسهم بذلك لكونهم مُتَدنّين جدا، قد اختاروا، فطريا، نفس الوسيلة (اخصاء، استئصال) في مقاومتهم لها، اختارتْها هذه الامزجةُ التي هي بحاجة الى

(1) تطبيق الكنيسة العملي (م)

الأغوية[2] ، بالمعنى المجازي (او حتى حرفيا)، باختصار، هي بحاجة الى اعلان رسمي للضغائن، الى **قطيعة** عنيفة بينها وبين أهوائها. إن الوسائل الجذرية لا تكون ضرورية الا للمتدنين: فالافتقار للإرادة، أو بالضبط العجز عن **عدم الاستجابة** لاغراء ما، لا يمثل في الواقع إلا شكلا اخر من التدني. إن الضغينة الجذرية، القاتلة، اتجاه الغرائز تظل عَرَضا مقلقا، فهي تبيح كل الشكوك بخصوص الحالة العامة لكائن قادر على مثل هذه الانحرافات... هذه الضغينة وهذا الحقد لا يصلان، من جهة أخرى، إلى منتهاهما الا عندما لا تكون لمثل هاته الامزجة القوة الكافية للخضوع لعلاج جذري، للتخلي عن "شيطانِ" هِم. يكفي ان نتفحص بسرعة كل تاريخ الكهنة والفلاسفة، مع ادراج الفنانين معهم: كل السمات الخبيثة التي تم التكلم بها ضد الشبقية لم تكن من طرف الواهنين **ولا** من طرف المتزهدين، بل من طرف المتزهدين الفاشلين، من طرف أولئك الذين كانوا بحاجة لان يكونوا نساكا...

3

تُسمى روحنةُ الشبقيةِ حبّا: إنه انتصار كبير على المسيحية. انتصار آخر هو روْحنتُنا لـ**الحميمية:** إنها تقتضي أن ندرك جيدا كم هو ثمين أن يكون للمرء أعداءٌ: باختصار، إنها تقتضي أن نفعل وأن نستنتج عكس ما كنا نفعل وما كنا

نستنتج سابقا. لقد ارادت الكنيسة، دائما، أن تقضي على أعدائها: أما نحن، اللاّأخلاقيين، الدَّجّالين، فنجد مصلحتنا في بقاء الكنيسة... في السياسة كذلك اصبحت العداوة الآن أكثر "عقلانية"، ذكية جدا، متعقلة جدا، اعتدالية جدا. كل حزب تقريبا يدرك أنه من صالحه الخاص، إذا أراد أن يستمر، أن لا يَضْعُفَ الحزبُ الخصمُ كثيرا. هذا ينسحب كذلك على السياسة ال"كبرى" للأمم. اختراع جديد، بالخصوص، "امبراطوريتُ" نا مثلا بحاجة الى الاعداء أكثر مما هي بحاجة الى الاصدقاء. ولا تحس انها ضرورية، ولا **تسمي** كذلك الا حين تتعرض للمعارضة. اننا لا نتعامل بخلاف ذلك مع "عدونا الداخلي": هنا ايضا طبَعْنا العداوة بالروحية، وهنا ايضا ادركنا "قيمتها": لا يمكن ان نكون "مخصبين" إلا بهذا الثمن: ان نكون كثيري التناقضات. لا يمكن ان نظل "شبابا" إلا شريطة أن لا تخلد النفس للراحة، ان لا يشدها الشوق الى الطمأنينة... لم يعد هناك شيء اغرب علينا مما كان يبدو جد مطلوب فيما مضى: "طمأنينة النفس"، هذا الطموح **المسيحي كلية**. ليس ثمة شيء نشتهيه اقل مثل صفاء البقريات الروحي والسعادة المليئة براحة الضمير... ان العدول عن الحرب هو رفض ل**عظمة** الحياة... مؤكد أن "طمأنينة النفس" لا تقوم في حالات عديدة، الا على سوء فهم ... إنها **شيء آخر** لا نعرف أن نطلق عليه اسما أكثر صدقا. هذه دون دَوَران

أو أحكامٌ مسبقة، بعض الامثلة. يمكن الا تكون «طمأنينة النفس" سوى الاشباع المعتدل للبهيمية الخِصْبة التي تأخذ صبغة اخلاقية (أو دينية). أو بدء الضجر، الظلمة الاولى التي يلقي بها المساء، وكل مساء، بلا استثناء... أو أيضا الدليل على أن الهواء رطب، وأن رياح الجنوب ستهب... أو الامتنان اللاشعوري لهضم جيد (يسمى هذا احيانا" حب الانسانية") ... أو سكينة الناقه، الذي يأخذ كل شيء، بالنسبة له، نكهة جديدة، والذي ينتظر... أو الحالة التي تعقب الاشباع التام لنزوتنا المهيمنة، الهناء الذي ينجم عن شبع نادر جدا. أو الوهن الشيخوخي لارادتنا، لشهواتنا، لرذائلنا.. أو الكسل، الذي يحمله غرورنا على تصنع الاخلاق. أو أيضا الظهور المفاجئ ليقين ما، ولو كان مخيفا، بعد توتر الشك وعذابه الطويلين. أو التعبير عن النضج وعن المهارة التي تنبثق في لحظة الفعل، في لحظة النشاط الخلاق، في لحظة السلوك العقلي، في لحظة الارادة، يهدأ التنفس، **تُدرَك** "حرية الاختيار" ... **أفول الاصنام**: من يدري؟ لعله نوع من "طمأنينة النفس" كذلك...

4

سأصوغ مفهوما. شيء طبيعي في الاخلاق، كل اخلاق **سليمة** تسودُها غريزة من غرائز الحياة- ان يستجيب كل قانون

من قوانـين "يجب عليك" و "ولا يجب عليك" دائما لـواحدة من وصـايا الحيـاة، هكذا يتم على الدوام استـبعـاد عائق مـا أو مقاومة ما لسبل الحياة. إن الاخلاق **المضادة للطبيعة**، أي تقريبا الاخلاق الملقنة، الممـجدة، المنصـوح بها الى هذا اليوم، تسـير، على العكس تماما، **ضد** غرائز الحياة...إنها **إدانة** سرية تارة وتارة عنيـفـة ومجـلجلة، لهـذه الغرائز. بـقولهـا " إن الاله يسـتـبطن القلوب" تقول "لا" لأدنى الرغائب كمـا لأسمى اماني الحياة، وتضع الاله **عدوا للحياة**... إن القـديس الـذي يرضي الاله هو المخصي المثالي... ينتهي امر الحياة حيثما **تبدأ** "مملكة الرب"

5

يكفي أن ندرك ما في التمرد على حياةٍ من نوع تلك التي اصبـحت شبه قُدّوسةٍ في الاخـلاق المسيحـية من تدنيس لكي نفهم كـذلك، لحسن الحظ، شـيئا آخـر: نفهم مـا في مثل هذا التمرد من عديم النفع، من غرّار، من عبثي، من خادع. إن إدانة الحياة المستنة من طرف كائن حـي ليستْ في نهاية الامر سوى مؤشر على نموذج معين من الحياة: بل حـتى مسألة معرفة ما إذا كانت هذه الادانة مبررة ام لا تطرح. يلزم أن يكون المرء **خارج** الحياة، وفـضلا عن ذلك، أن يفهمـها اكثر من أي كـان، أكثر من الكثـيرين، اكـثر من أولئـك الذين عاشـوها، لكي يكون له الحق فـقط في أن يعرض لقـضيـة **قيمة** الحياة: هناكـالعديد من

الحـجج التي تؤكد على أن المسـألة ليـست في متناولنا. عندمـا نتحدث عن القيم فإنما نتحدث بوحي، نتحدث في وجهة نظر الحيـاة عيـنيهـا: إن الحياة هـي التي تحملنا على وضع القـيم، إن الحيـاة هـي التي "تقـوِّم" من خـلالنا في **كل مرة** نضع فـيهـا قيمـا... ونشأ عن ذلك ان هذه "**الطبيعة المضادة**" نفسها، التي **هي الاخلاق**، والتي تضع الاله نقيضًا وإدانةً للحياة، ليست في حد ذاتها الا حكم قـيمة عن الحيـاة عن أي حياة؟ عن أي نوع من الحيـاة؟ الجواب، سبق أن قدمتـه: الحياة الآفلة، الـضعيـفة، الضجرة، المذمومة. ان الاخلاق، كما فُهِمَت حتى الآن –كما صاغـها شوبنهـاور في نهاية المطاف، كـ"نفي لارادة الحـياة" – هذه الاخـلاق هي **غريزة الانحطاط** * نفـسها كـأمر: تـقول: "**إهلَك**". إنها الحكم الصادر عن المحكوم عليهم...

6

وحتى نختم، لنتأمل كم هو ساذج أن نقول: «**يجب** على الانسـان أن يكون هكذا أو كـذلك! "فـالواقع يقـدم لنا عـددا هائلا من النـمـاذج، وفـرة غـزيرة من تمثيل لا مـتـناه للاشكال والتحولات، وإذا بـأي شخص من الاخلاقيين المستعدين لاي شيء يقـول لنا: "لا! وجب عـلى الانســان ان يكون **بخلاف هذا!**"... بل إن هذا المنافـق المشـؤوم **يعرف** حتى كـيف يجب على الانسـان ان يكون: انها صـورته الخـاصة التي تآمـر عليهـا

صائحا: "Ecce Homo !"[1] فحتى عندما لا يفتأ الاخلاقي يتوجه الى المرء ويقول له: "هكذا او كذلك يجب عليك ان تكون"، فإنه لا يكف بذلك عن جعل نفسه هزأة. ليس المرء، ايا كانت الزاوية التي ننظر منها اليه، سوى جزء من Fatum[2]، ليس سوى قانون اضافي، ضرورة اضافية لكل ما سأتي وما سيكون. فأن نقول له: "تغيّر" يعني ان نطالب ايضا بأن يتغير الكل، وبأثر رَجْعي كذلك... هذا وقد وجد اخلاقيون منطقيون مع انفسهم: لقد كانوا يريدون الانسان مخالفا، يعني فاضلا، كانوا يريدونه على شاكلتهم، يعني منافقا، لذلك كانوا **ينكرون** الدنيا! ليس هذا بالجنون الضعيف، ليس هذا شكلا متواضعا من السفاهة! إن الاخلاق في كونها **تدين** في المطلق **وليس** بالقياس الى الحياة، أو مراعاة للحياة، هي **خطأ** جوهري لا يوحي بأية شفقة، ويتعلق **بمزاج** منحط اساء سابقا بلا حدود... اما نحن، نحن الآخرين، نحن اللاأخلاقيين، فقد فتحنا قلبنا كبيرا، على العكس، لكل تفهم، لكل تفكير، لكل **موافقة**- لا نحب أن نقول لا، نراهن بشرفنا لنكون أولئك الذين يقولون "**نعم**". نعرف بصورة افضل كيف ندرك هذا الادخار الذي ما يزال بحاجة إلى كل ما ترفُضه غباوةُ

---

(1) هذا الانسان (م)
(2) القدر (م)

القس المقـدسة،مـا يرفـضه عـقل القس **المريض**، نعرف كـيف نستـغل ذلك: نُدرك هذا الادخار في قـوانين الحيـاة التي تعرف كـيف تستـفـيد حـتى من هـــذا النوع الحـيـواني الكريه، نوع المنافق، القس، الانسان "الفاضل" ... **أية** افادة، ستقولون؟ اننا نحن، نحن اللاأخلاقيين، هـم الجواب عن هذا السؤال...

الاخطاء: الاربعة الكبرى

1

الخطأ الاول: عدم التمييز بين العلة والمعلول :

ليس هناك خطأ اخطر من **الخلط بين العلة والمعلول**، إنه ما أسميه الانحراف الحقيقي للعقل. ومع ذلك فإن هذا الخطأ من العادات البشرية الاكثر قدَما والاكثر معاصرة، بل هو مقدس لدينا، ويحمل اسم ال"دين" وال"اخلاق". **كل** اقتراح يصوغه الدين والاخلاق يتضمّنه؛ ويُعتبر الكهنة والمشرعون الاخلاقيون اصل انحراف العقل ذاك. وهذا مثال على ذلك. كل الناس يعرفون كتاب الشهير كورنارو الذي يوصي فيه بحميّته الهزيلة، وصفة حياة مديدة، سعيدة، وفاضلة كذلك. قليلة هي الكتب التي قرئت بهذا الشكل؛ اليوم ايضا، في انجلترا، يعاد طبعه كل سنة بآلاف النسخ. في نظري، لا شك ان قلة من الكتب، (باستثناء الكتاب المقدس، كما وجب

عليه) هي التي أساءت بهذا القدر، التي **قصرت** حيوات، اكثر من هذا **الفضول** المفعم بالنيات الحسنة. والسبب؟ عدم التمييز بين العلة والمعلول. كان هذا الايطالي الطيب يرى في حميته **علةً** طول عمره: في حين أن علة حميته الهزيلة كان هو التباطؤ غير العادي للتحول الغذائي، الاستهلاك الطاقي الضعيف، اي الشرط الاول للتعمير. **لم يكن** حرا في أن يأكل اكثر أوأقل، لم يكن زهده في المأكل قرارا حرا لـ"اختياره الحر" : لقد كان يمرض حين كان يأكل كثيرا. لكن عندما لا يكون المرء سبوطا 1 فليس من الافضل له، بل **يجب عليه،** أن يأكل **كفاية.** لو أن عالماً ألزم بحمية كورنارو، في أيامنا هذه، فسيهلك بها نهائيا، مع استهلاكه السريع للطاقة العصبية.
[1]-crede experto

إن أكثر الصيغ التي نجدها في أصل ديانة وكل اخلاق شُيوعا هي: "إفعل هذا وذاك، وامتنع عن هذا وذاك - هكذا ستصبح سعيدا! وإلاّ... "كل اخلاق، كل ديانة، **هي** هذا الامر-اسميه خطيئة العقل الاصلية الكبرى، **الغباوة الخالدة.** في فمي تتحول هذه الصيغة الى ضدها، -المثال **الاول** عن" قلبي لكل القيم". ان انسانا كاملا، "فانيا سعيدا" **مجبر** على القيام بأفعال معينة ويتراجع فطريا امام اخرى، ينقل النظام الذي يمثله فزيولوجيا الى علاقته مع الناس والاشياء. ليكن، في

(1) صدّقوا من جرّب (م)

عبارة أوجز: إن فضيلته هي **نتيجة** سعادته... **ليست** الحياة الطويلة، الخَلَف الكثير، هما أجر الفضيلة، بل إن الفضيلة نفسها هي تباطؤ التحول الغذائي الذي، من بين اشياء اخرى، يسبب ايضا عمرا مديدا، خلفا كثيرا، باختصار، ال **"كورنارية"** *. تقول الكنيسة والاخلاق: يَبيد عرق، شعب، بالترف والفسق. أما عقلي **المجدّد** فيقول، "عندما يسارع شعب الى هلاكه، عندما يتدهور جسديا، **ينتج عن ذلك** الفسق والترف (اي الحاجة الى الاغراءات الاكثر حيوية والاكثر شيوعا دائما، التي يلتذ بها مزاج متعب). هذا الشاب يصبح شاحبا ومجعدا قبل الاوان. يقول اصدقاؤه: ان هذا المرض او ذاك هو السبب. اقول: **إن كونه** قد اصيب بالمرض، **كونه** لم يقاوم المرض، كان في حد ذاته نتيجة حياة بئيسة وإضناء وراثي. قارئ الجرائد يقول:" بسبب من هذا الخطأ يحكم هذا الحزب على نفسه بالفشل." وعلمي السياسي انا، الذي ينظر الى الاشياء **من الاعلى**، يقرر: ان حزبا يرتكب أخطاء مماثلة قد انتهى امره- لم يعد لديه يقينه الفطري، كل خطأ، بكافة معاني الكلمة، هو نتيجة لانحطاط الفطرة، لتفكك الارادة: هذا تقريبا تعريف كل ما هو **قبيح**. كل حَسَن فطري: وبالتالي سهل، ضروري، حر. كل عسير مشتبه فيه: ان **الاله** مختلف نموذجيا عن البطل (في لغتي: الاقدام **الخفيفة** هي الصفة الاولى للألوهية).

(*) نسبة إلئ كور نار (م)

خطأ سببية غير مبررة:

اعتقدنا، على مر العصور، اننا قد أدركنا ما هي العلة؛ لكن من أين أخذنا هذه المعرفة، أو بالضبط، زعمنا أننا على بينة من هذا الامر؟ من حقل هذه "المعطيات الداخلية" المشهورة، حيث لم يتبين حتى الآن أن واحدا منها كان "معطى" فعليا. كنا نعتقد اننا نحن انفسنا، في الفعل الارادي، سببية؛ وهنا، على الاقل، كنا نفكر في **مفاجأة السببية في حالة تلبس.** لم نكن كذلك نشك في أن antecedentia [1] فعل ما، أسبابه، كان يجب البحث عنها في الشعور، واننا لو بحثنا عنها لعثرنا عليها فيه على شكل "مبررات": وإلا لما كنا احرارا في القيام بهذا الفعل، ولما كنا مسؤولين **عنه.** وفي الاخير من كان يعارض ان يكون لفكر ما سبب؟ ان يكون الانا سبب الفكر؟... من بين هذه "المعطيات الداخلية" الثلاثة التي يبدو انها تؤكد انها السببية، الاول والاكثر اقتناعا هو **الارادة معتبرة كسبب:** إن تصور الشعور ("العقل") باعتباره سببا، ثم بعدئذ، تصور الانا (انا "الذات") باعتبارها سببا، لم يتكر الا بعد فوات الأوان: بمجرد ما قُبلَت الخاصيةُ السببيةُ للارادة كواقع ثابت، كواقع **تجربة**... منذئذ نظرنا الى الامر عن كثب. والآن لا نصدق أي شيء من ذلك. إن "العالم الداخلي" مترع بالاوهام الخادعة والامور الزائلة: إن الارادة تبدو بلا فائدة حقيقية. لم تعد الارادة تحرِّك شيئا، وبالتالي لم تعد تفسر شيئا.

إنهـا لا تزيد عـلى ان تصـاحب احـداثا، بل يمكنـهـا ان تغيب كلية. امـا ما يتعلق بال "مبـرر" المزعوم: فخطأ آخر. إنه مـجرد ظاهرة سطحيـة للشعور، مـجرد مُجانبٍ للفـعل، يُخفي **سوابقَ** فـعل عـوض ان يجسـِّدها. ومـاذا نقـولُ عن الانا! لقـد اصـبح خرافة، خيالا، تلاعبـا بالالفاظ: لقد كف تماما عن الاحساس، عن التفكير، وعن الارادة!... ماذا ينجم عن ذلك؟ انعدام ادنى سبب عـقلي! ال"تجربة" المزعومة التي كـانت تؤكده تروح الى الجحيم! **هو ذا** مـا ينجم عنه! -ولقـد ارتكبنا هفـوات كـبيـرة بهذه ال"تجربة". لقد **خلقـ**نا العالم، من خلالها، كـعالَم سببي، كعالَم إرادة، كعالم عقول. ان أطول وأقدم علم نفس هو الذي كان يشتغل هنا، لم يفـعل اي شيء آخر: كان كل ما يحدث، بالنسبة اليـه، فعـلا، كان كل فعـل نتيـجة لارادة، لقد امـسى العالـم، بالنسبة الـيه، تعددية "فـاعلين"، حيث يتـسـرب وراء كـل حدث طـرأ فاعــل ("ذات"). لقــد اسقـط الانســان خــارج ذاته"المعطيات الداخلية"، أي ما كان ايمانه به راسخا، الارادة، العـقل، الانا. اشتق اولا مـفهـوم الكينونة من مـفهـوم الانا، وضع ال "اشـياء" على صـورته، كمـوهوبة الكينونة، من خلال فكرته عن الانا الذي اعتبر سببا. فهل نستغرب لكونه لم يجد ابدا، فيمـا بعد، في الاشياء الا **ما سبق ان وضعه فيها؟** إن الشيء نفـســه، أكـرر ذلك، إن مـفـهـوم الشـيء، هو مـجـرد انعكاسٍ بسـيط للاعتـقاد فـي أنا قد تكون علة. حـتى ذرتكـم،

ايها السادة الإواليون والفزيائيون، كم من خطأ، كم من سيكولوجية بدائية ما تزال قائمة فيها، في حالة بقيا! دون أن نتحدث عن ال "شيء في ذاته"، Horrendum Pudendum[1] المتافزيقيين هذا! خطأ العقل الذي اعتُبر سببا، الذي اختلط بالحقيقة! وأُثبِتَ كمعيار للحقيقة! وسمي **إلها**!

4

خطأ العلل الوهمية:

حتى ننطلق من الحلم: إننا نُسنِد، بعد فوات الأوان، وبشكل تعسُّفي، علة (عادة ما تكون رواية صغيرة يكون فيهاالحالِم هو الشخصية الرئيسية) الى احساس محدد نحس به، مثلا، إثر طلقة مدفع في مكان بعيد. في هذه الأثناء يتمدد الانطباع على شكل صدى: ينتظر تقريبا، ان تسمح له الغريزة "السببية" بأن يَحُل في المقام الاول – ليس كصدفة هذه المرة، بل كـ" دلالة". تظهر طلقةُ المدفع بطريقة **سببية في** تعاكسٍ زمني ظاهر. يأتي الاحساس بالعنصر الثاني، اي بالتحفيز، بمثابة الاول زمنيا، عادة مع مئةِ جزئيةَ عابرة كالبرق –وتأتي طلقة المدفع **فيما بعد**... ماذا حدث؟ لقد فُهِمت التمثلاتُ **المتناسلة** عن بعض ترتيبات اللحظة، خطأ، على أنها العلة نفسها. في الواقع، إننا نفعل الشيء ذاته في حالة اليقظة.

---

(1) مرعب ومخجل (م)

اغلب الاحـاسيس الغـامضـة – كل انواع الانزعاج، الضـغط، التـوتر، الانفجـار الناتج عن حركـة وتفاعل الاعـضاء، كحـالة sympathicus nervus [1] تحرِّك غـريزتنا السببيـة: نريد أن نجد مبررا لاحساسنا **بهذه الطريقة أو تلك** – لكوننا في أحسن حال أو اردإها. ولا يكفـينا ابدا ان نتأمل امـر وجودنا في هذه الحـالة او تلك: لا نقـبل هذا الامـر، لا **ندركـه**، الا حـينما نكون قـد وهبناه بعض التحفيـز. إن الذكرى التي تتدخل في هذه الحالة، دون علم منا، تبعث من جديد حالات ذات نفس الطبيعة سبق ان أحسسنا بهـا، كذلك التأويلات السـببيـة التي ترتبط بهـا بطريقة مبهمة، لا سببيتهـا الحقيقية. صحيح أن الذكرى تبعث أيضـا الاعتـقاد بأن التـمثـلات وأفـعال الشـعور التي تصـاحب الظاهر هي مسبباتها. هكذا ينشأ **اعتياد** على تأويل سببي معين يعوق، في الحقيقة، بل ويستبعد **البحث** المعمق عن الاسباب.

5

التفسير النفسي لما سبق:

أن نُخرِج شيئا من المجهول الى المعلوم أمـر يريح، يطمئن، يربي، ويمنح، فـوق ذلك، إحسـاسا بـالقوة. مع المجـهول يظهـر الخطر والقلق والـوهم– أول حـركة فـطرية نقـوم بهـا تميل الى **استبعاد** هذه الحالات المكدِّرة.

(1) المشاركة الوجدانية العصبية (م)

المبدأ الاول: أن يكون هناك تفسير كيفما كان افضل من ان لا يكون هناك أي تفسير. وبما أن الامر لا يتعلق، في الواقع، الا بالرغبة في التحرر من التفسيرات المقلقة فإننا لا نبدو متشددين بوسائل إبعادها: الفكرة الاولى التي يبدو أن المجهول غدا معها معلوما تحقّق ارتياحا كبيرا بدرجة "اعتبارها حقيقية". تبرير **اللذة** (أو الفعالية) كمعيار للحقيقة... هكذا يثير الشعورُ بالخوف غريزةَ السببية ويهيّجها. في الاغلب، لا يجب ان تمنح "لماذا؟" العلة لذاتها الا نوعا **معينا** من العلة: علة مطمْئنة، تخلص وتريح. النتيجة الاولى لهذه الحالة هي أن يُتّخَذَ شيء **معلوم** مسبق، معاشا عن تجربة، مثْبَتا في الذاكرة، كعلة. إن كل شيء جديد، غريب، مجهول، غير مقبول كعلة. لا نكتفي، كذلك، بأن نلتمس نوعا معينا من التفاسير كعلة، بل صنفا من التفاسير انتُخب بعناية و**حظي بالامتياز**، تلك التي تسمح، غالبا وبأسرع ما يمكن، بإقصاء الشعور بالمجهول، بالجديد، بالغريب: أي التفاسير الشائعة جدا. النتيجة: أنَّ نموذجا معينا من التفاسير يتغلب أكثر فأكثر، يتكاثف على شكل نظام، وينتهي بأن **يهيمن** كلية على العلل والتفاسير أو **بالاحرى** يقصيها بلا قيد ولا شرط. وفي الحال يفكر الصيرفيٌّ في "الاعمال،" المسيحيٌّ في "الخطيئة"، الفتاةُ في حبها.

استناد مجموع المجال الاخلاقي والديني على تصور العلل الوهمية هذا:

" تفسير الانطباعات **المزعجة**. إنها محدَّدة من طرف كائنات معادية لنا (عقول مؤذية، في أشهر الحالات. مهسترات اعتبرن ساحرات خطأ). هذه الانطباعات تحددها حركات لا يمكن لنا أن نقبلها (توَعُّدٌ فزيولوجي يُعزى الى الاحساس بالـ"خطيئة" أو إلى "التعرض للخطأ" -تكون لنا دائما اسباب عدم الرضى عن النفس). إنها تحدد كعقاب، كعقوبة على شيء لم يكن علينا ان نفعله، لم يكن علينا ان نكونه - وهو ما أطلقه شوبنهاور على شكل وقح، في جملة تظهر فيها الاخلاق كما هي: سمّامة وثلاّبة الحياة: "كل ألم عظيم، ماديا كان أو معنويا، لا يترجم إلا ما نستحقه، ذلك انه لا يمكن ان يصيبنا إذا لم نكن نستحقه! (**العالم كإرادة وتمثل 2.666**). هذه الانطباعات هي نتيجة لحركات طائشة، ذات نهاية مكدِّرة (نتيجة مجموعة الانفعالات، الغرائز، المفترض أنها "أثيمة" شدائد فزيولوجية مؤوَّلة، بواسطة شدائد أخرى، على أنها مستحَقة"). تفسير الانطباعات **المفرحة**. تحدد بالثقة في الاله. تحدد بنتيجة الاعمال الصالحة (راحة الضمير" المزعومة، حالة فزيولوجية تشبه حالة هضم جيد حتى لَيَلْتبِس الامر). هذه الانطباعات يحددها الختام السعيد لبعض المشاريع (استنتاج ساذج. إن

باسكال أو مُصابا بوسواس المرض لن يجني اي انطباع مفرح من الختام السعيد لمشروع ما). إنها تحَدد بالايمان، بالشفقة، بالامل، بالفضائل المسيحية. في الحقيقة، كل هذه التفاسير المزعومة حالات متتالية، وهي، تقريبا، ترجمة لحالات شعور باللذة أو الكرب الى لغة غير ملائمة: نكون في حالة أملٍ **لأن** الاحساس الفزيولوجي الاساسي قويٌّ وخصب مجددا، نثق في الاله **لأن** احساسا بالكمال والقوة يمنحنا الطمأنينة. إن الاخلاق والدين يستندان كلية على **سيكولوجية الخطأ**. في كل حالة تختلط العلة والمعلول: إما أن الحقيقة تختلط مع أثرما نعتقد أنه حقيقي؛ وإما ان حالة من حالات الوعي تختلط مع الخاصية السببية لهاته الحالة.

7

خطأ حرية الاختيار:

لم يعد لنا الآن أي تسامح مع مفهوم "حرية الاختيار"، لا نعرف معناه الا قليلا - انها أكبر حيل المراوغة المشبوهة التي يمارسها علماء اللاهوت الذين يهدفون الى جعل البشرية "مسؤولة" الذي يريدون، اي **جعلها اكثر تبعية لعلماء اللاهوت**...لن أثيرهنا سوى سيكولوجية كل " تحميل مسؤولية عام". كلما سعينا الى "سَن المسؤوليات" **فإن ارادة العقاب والمحاكمة** هي التي تعمل. إن اسناد أمرٍ ان نكون بهذه

الطريقة أو تلك إلى إرادة، إلى نيات، إلى أفعال مسؤولية، هو إفراغ للصيرورة من براءتها. لقد ابتُكرت نظرية الارادة اساسا لغايات العقاب، اي ب "**رغبة في التجريم**". إن علم النفس القديم، علم نفس الارادة، قد انبثق من كون اصحابه، الكهنة الذين كانوا على رأس الجماعات القديمة، أرادوا ان يمنحوا انفسهم **حق** فرض عقوبات، او اعطاء مثل هذا الحق للإله... إن كانوا قد تصوروا رجالا "احرارا" فلهدف واحد، لكي تمكن محاكمتهم وإدانتهم، لكي يصيروا **مذنبين: بالتالي**، كان يلزم قطعا ان تُفهم كل حركة على انها كانت ارادية، ان يُفهم اصل كل حركة على أنه كان كامنا في الشعور (وهو ما يوضح جعل المكر الاكثر **جذرية** in psychologicis [1] اساس علم النفس ذاته...). اليوم، الآن وقد انخرطنا في الاتجاه **المعاكس**، الآن بالخصوص، وقد تعهدنا بكل قوانا، نحن اللاأخلاقيين، بأن نبطل مفهوم الخطأ ومفهوم العقاب وأن نطهر علم النفس، التاريخ، الطبيعة، المؤسسات والقوانين الاجتماعية منهما فإنه لا يوجد، في نظرنا، خصوم اشد عزما من علماء اللاهوت الذين ما يزالون، بمفهومهم عن "النظام الاخلاقي الكوني"، يُعْدُون براءةَ الصيرورة ب "العقاب" و"الخطأ". إن المسيحية هي متافيزيقا الجلاد...

(1) في علم النفس (م)

8

ماذا يمكن ان تكون عـقيدتـ**نا** الوحـيدة؟ أنْ لا **يهب** احد للإنسـان مزاياه: لا الاله، لا المجتمع، لا اباؤه ولا أسـلافه، ولا **هو نفسه** (إن الفكرة العبثيـة التي ابعدناها الان كانت قد لقّنت تحت اسم "الحـرية المعقـولة" من طرف كـانط، وربما من طرف افلاطون قـبله). لا **أحد** يتحمل مسـؤولية وجوده، تكوُّنه بهذه الطريقة او تلك، كـونه في هذا الظرف اوذاك، في هذا الوسط او ذاك، لا يمكن ان نستثني الطابـع القدري لوجوده من الطابع القـدري لكل مـا كـان ولكل مـا سيكون. إنه **ليس** نتيجـةَ نية خـاصـة أو إرادة او قصـدية، إنه لا يمثل مـحـاولة الوصـول إلى "المثل الانسـاني الاعلـى"، الى، مـثل السـعـادة الاعلى" أو إلى "مثل الاخلاق الاعلى". من العبث ان نريد **دفع** وجودنا الذاتي الى قصدية ما بعيدة. **نحن** هم من اخترع مفهوم الـ"غاية": اما في الواقع فـالغاية **غائبة**. لابد منا، نحـن جـزء من القـدر، نحن جـزء من كل، نحن **كائنون** في هذا الـكل -لاشيء يمكـنه ان يحكم على كـينونتـهـا ان يزنهـا، أن يقارنهـا، أن يدينهـا، لأن ذلك سيـعني الحكم على الكل، وزنه مقارنتـه، إدانته.. علـى أن **خارج الكل لاشيء هناك**. الاّيكون احـد مسـؤولا أبدا، ألاّ يُـرجع بنمـط الوجـود أبدا إلى una prima causa [1] ، ألا يكون العالم، سواء كـ sensorium [2] أو كـ"عقـل"، وحدةً:

(1) علة أولى (م)

(2) أحاسيس (م)

هذا وحده هو التحرير الاكبر – من هنا، ومن هنا فقط، أصلحت براءةُ الصيرورة... لقد كانت فكرة الاله حتى الان الاعتراض الرئيسي ضد الوجود.. إننا نجحد الاله، ننفي المسؤولية عن الاله: **بهذا** فقط، ننقذ العالم.

الذين يريدون «إصلاح» البشرية

ما أطلبه من الفيلسوف معلوم: أن يتموضع ما وراء «خير» و«شر» ان يكون **فوق** وهم الحكم الاخلاقي. هذا الطلب نابع من استنتاج كنت أول من صاغه: ليست هناك حقائق اخلاقية. يشترك الحكم الاخلاقي مع الحكم الديني في الايمان بحقائق ليست في شيء. تشترك الاخلاق مع الحكم الديني في الايمان بحقائق ليست في شيء. ليست الاخلاق الا تفسيرا –او بتعبير أدق، تفسيرا خاطئا لبعض الظواهر. يوصل الحكم الاخلاقي، مثله مثل الحكم الديني، إلى جهل ينعدم فيه مفهوم الواقعي نفسه، ينعدم فيه التمييز بين الواقع والمتخيل، بحيث أن "الحقيقة" لا تمثل، على هذا المستوى سوى اشياء نسميها اليوم " أوهاما". في هذا لا ينبغي أبدا أن يؤخذ الحكم الاخلاقي بحرفيته: إنه ، بما هو كذلك، لا يتضمن سوى

اللامعنى. لكن باعتباره **علم أعراض** فإنه يظل ذا ثمن لا يقدر، إنه يكشف، للذي "يعلم" على الاقل، أثمن الحقائق ذات الثقافات والحساسيات اللاواعية التي لم تكن [أي الحقائق] تعرف عنها كثيرا لكي «تفهم» ذاتها هي. ليست الاخلاق سوى لغة رمزية، سوى «مبحث أعراض »: يجب أن نعرف مقدما **ماالذي** يتعلق به الامر لكي ننتفع بها.

2

لنبدأ بمثال اول. لقد أراد المصلحون، على مر العصور أن يصلحوا الناس، أن يصيروهم "أفضل": هذا ما كان يسمى "أخلاقا" قبل أي شيء آخر. لكن نفس اللفظ يشمل أشد الميول تنوعا. لقد سمي "ترويض" الحيوان الانساني و"تدجين" نوع من الناس، "تحسينا": وحدها هاته المصطلحات المستعارة من علم تربية الحيوانات تعبر عن حقائق - حقائق لا يعرف عنها أكبرُ من يمثل أولئك الذين يريدون "إصلاح" الانسان شيئا، لا يريد أن يعرف عنها شيئا أعني بذلك القس... القول بأن ترويض حيوان ما هو "جعله أفضل" يكون له في آداننا وقع الهزء. الذي يعرف ما يحدث في الحضائر يشك في كون الحيوان الاعجم يصير فيها "أفضل". إنهم يوهنونه، يصيرونه أقل خطرا، يجعلون منه حيوانا **مرضيا** بالتأثير المحبط للخوف، بالألم، بالجراح وبالجوع. ولا يختلف الامر عن ذلك بالنسبة

للإنسان المدجّن الذي "أصلحه" القس. إبان العصور الوسطى الممعنة في القدم، يومَ كانت الكنيسة مجرد حضيرة كبيرة، كانت تتم مطاردة أجمل أنواع "الحيوان الاشقر"، كان يتم "إصلاح" الجرمانيين الرائعين، مثلا -لكن ما الذي صار يشبهه، بعد ذلك، الجرماني "المصلَح" والمجذوب إلى دير غدرا؟ صار يشبه رسما ساخرا للإنسان، صار يشبه سقطا: لقد صار "مذنبا"، كان في قفص، كانوا يحتفظون به أسير أفكار مرعبة...وكان يجثم هناك، مريضا، مثيرا للشفقة، حاقدا على نفسه، ممتلئا غيضا ضد الدوافع الحيوية، كله شكوك بخصوص كل ما كان لا يزال قويا وسعيدا... باختصار، صار "مسيحيا"! إذا تكلمنا عن الناحية الفزيولوجية لا يمكن، في الصراع ضد الحيوان الاعجم، أن تكون هناك وسيلة أخرى لإضعافه غير المرض. هذا ما أدركته الكنيسة: فقد أفسدت الانسان أضعفته، لكنها ادعت أنها "أصلحتْـهُ"...

3

- لنأخذ الحالة الأخرى من الاخلاق المزعومة، حالة "تدجين" جنس ونموذج معينين. أروع مثال على ذلك تضربه لنا الاخلاق الهندية المرفوعة الى مقام الدين تحت اسم "قوانين مانو". فهي تفرض أن تتم تربية أربعة أنواع من الجنس البشري في وقت واحد: نوع كهنوتي، نوع محارب، نوع التجار

والمزارعين، وأخيـرا نوع الخدم، أي نـوع السُّودْرا. جلي أننا لم نعد لدى مـروضي الشُّقر[1]: يسـتلزم الامر نمـوذجا من الانسـان اكثـر وداعة وتعـقلا مـائة مرة كي يستـطيع فقط أن يفـهم مثل هذا البرنامج. عند الخـروج من الجو المسيـحي، جو المستـشفى والزنزانة، نتنفس إذ نلج هذا العالم الاكثر صحية، الاكثر علوا، الاكثـر رحابة. كم هو بئيس هذا "العـهد الجديد" إذا مـا قورن بمانو: وكم رائحـته نتنة! لكن احـتاج هذا التنظيم كـذلك لأن يكـون **مرعبا**،- هاته المرة، لـيس في صـراعـه ضـد الحيـوان الاعجم، لكن في صراعـه ضد نقيضـه، الانسان الذي لا عرق له، المزيج الخلاسي Tchandala . هاته المرة أيضـا، لم يكن له من وسيلة ليجعله غير مؤذ، ليضعفه، سوى أن يصيره **مريضا**-، وكان الصراع ضد "أكبـر عدد". قد لا يكون هناك شيء أشد مناقـضـة لاحـسـاسنا من **هاته** التـدابيـر الوقائيـة التي تتـخـذها الاخلاق الهندية فالمرسـوم الثالث مثلا (Avadana- Sastra) . مرسـوم " الخضـر الغيـر الطاهرة " يقضي بأن الخـضر الوحـيدة التي يجب أن يسمح بهـا للمنبوذين (Tchandala) هي الثوم والبـصل، على اعـتبـار أن الكتـاب المقـدس يحـرم أن يُعطاهم الحَب والفـواكــه ذوات الحـب، أو الماء أو النار. يوضـح نفس المرسـوم أن الماء الذي هم في حاجـة اليه، لا ينبـغي أن يغتـرف

1- الشقر: حيوانات متوحشة ذات شعر أشقر كالأسود والضباء والأيائل.

من مـجـاري الماء، أو من العيـون، أو مـن البـرك، بل فـقط من جـوانب المستنقـعات ومن حـفـر الماء التي تنحفـر تحت حوافـر المواشي. يحرم عليهم كـذلك أن يغسلوا ثيابهم أو أن **يغتسلوا**، لأن الماء الذي حظوا به لا ينبغي أن يستعمل إلا لإرواء الضمأ. يأتي في الاخير منع نساء السودرا من مـساعدة نساء المنبوذين أثناء الولادة، بل ومنع هؤلاء الاخيرات من **مساعدة بعضهن...** لم يتـأخر نجـاح هاته الشـرطة الصـحيـة : أوبئـة قاتلة، أمـراض تناسلية فظيعة، وفـوق كل هذا، " قانون المُدْية" الذي كان يقر الختان للأطفال الذكور واستئصال الشفتين الصغيرتين للإناث. مانـو نفسه يـقول: **المنبوذون** هم نتـاج الزنا، نتـاج زنا المحـارم والجريمة " تلك كانت العاقبة الحتمية لمفهوم التدجين نفسه". لا يجب أن يمتلكوا من اللباس سوى المزق التي انتزعت من جثث الموتى، ولا من الأواني سوى الخزفـية المكسورة، ولا من الحلي سوى الخـردة، ولا ينبغي أن يكون لهم احـتفال قـدّاسي سوى تعبد العـفاريت الشـريرة. يجب أن يتيـهوا من مكان الـى آخر باستـمرار. يحـرم عليهم أن يكـتبوا من الـيسار الى الـيمين وأن يستعـملوا اليد اليمنى للكتابة: فـاستعمال اليـد اليمنى والكتابة من اليسار الى اليمـين يختص بهما **الافاضل**، يختص بهما **ذوو النسب.**"

4

هاته التقريرات بالغة الدلالة: نرى فيها الانسانية **الآرية** في حالتها الخالصة، الاصلية،- تعلمنا أن فكرة "الدم الخالص" ليست فكرة غير مؤذية، بل على العكس تماما. من جهة أخرى، نرى بجلاء لدى اي شعب تأبد هذا الحقد، حقد **المنبوذين** على "هاته الانسانية"، نرى حيث أصبح هذا الحقد دينا، حيث أصبح **نبوغا**... من وجهة النظر هانه تعتبر الأناجيلُ وثيقة من الطراز الاول، وأكثر من ذلك كتاب إنوخ. المسيحية، الناتجة عن أصول يهودية، والتي لا تفسر الا كنبات انبتته نفس التربة، تمثل الحركة **المعاكسة**، تمثل رد فعل ضد كل اخلاق التدجين، اخلاق النسب، اخلاق الامتياز: انها الديانة المضادة للآرية **بامتياز** *. المسيحية قلب لكل القيم الآرية، انتصار لقيم **المنبوذين**، بشرى يُبَشِّرُ بها المتواضعون والفقراء، ثورة المداسين والتعساء والمشوهين والمخفقين العامة ضد الـ"نسب"، إنها انتقام المنبوذين الأبدي مقدما كـ**دين المحبة**...

5

تتساوى أخلاق التدجين واخلاق الترويض فيما يتعلق بالوسائل التي تستعملها لفرض نفسها. يمكن ان نفترض انه لكي نقيم أخلاقا يجب أن نطلب عكسها عن قصد. تلك هي المشكلة الكبيرة، المشكلة **المزعجة**، التي تأملتها اطول مدة:

نفسيةُ الذين يريدون ان "يصلحوا" الانسانية، صنيعٌ صغير، بسيط في الظاهر، صنيع ما نسميه " pia fraus " هو اول من أرشدني: **الكذب الورع**، الموقوف على كل الفلاسفة والقساوسة الذين "أصلحوا" الانسانية... ما شكٌّ مانو أو أفلاطون أو كونْفوشْيوس أو آباء اليهودية والمسيحية يوم في **حقهم** في ان يكذبوا... هناك **حقوق اخرى كثيرة** لم يشكوا فيها... يمكننا القول، إذا عمدنا الى استعمال صيغة: ان **كل** الوسائل التي كانت ستجعل الانسانية "اخلاقية" قد كانت، حتى الآن، **لا أخلاقية** للغاية.

ما ينقص الألمان

1

لا يكتفي الألمان الآن بأن يكون لهم عـقل، يجب كذلك أن ينسبوه الى انفسهـــم، **أن ينتحلوه ...**

قـد يُسَلِّم الـناسُ بأني أعـرف الألمان وبـأن لي الحق في أن أقول لهم بعض الحقائق. تمثل المانيا الجديدة كمّاً هائلا من **المزايا** الموروثة والمكتسـبة، بحيث يمكنهـا في وقت مـعين أن توزع، وبإسراف، كنوزَ القوى التي جمـعتها. **لم** يكن ارتقـاؤها ارتقاء ثقافة رفـيعة، بل لم يكن ارتقاء ذوق رهيف او ارتقـاء "جمال" الغـرائز النبيل، وإنما كـان ارتقاء فـضائل أشـد رجوليـة من تلك التي قد يقـدمها أيُّ بلـد اوربي آخر. كثير من الاستـعداد، من احتـرام الذات، حس سليم جـدا في ميـدان التبـادل، في تناظر الواجـبات، مـيل للعـمل، كـثر من التـحـمل، واعتـدال وراثي يستـدعي المحرك أكثـر مما يستدعي المكبح. سـأضيف أن الناس

فيها لا زالوا يطيعـون دون أن تكون الطاعة مزدرية... ولا أحد يحتقر خصمه... ترون أن رغبتي هي أن أنصف الألمان، وحتى أظل وفيا لقصدي علي أن أقول ما أواخذهم به. أكتساب القوة يؤدى ثمنه غاليـا. القوة **تُبلد** ... كان هؤلاء الالمان فيـما مضى يدعون "شعب المفكرين": ألا زالوا يفكرون اليـوم؟ اليوم يحذر الالمان العـقل، تستـغرق السيـاسـة كل جديتـهم فـيمـا يخص مسائل العقل. "**ألمانيا ألمانيا فوق الكل**": أخـشى أن يكون هذا قـد دق قـرعة حـزن إيذانا بموت الفلـسفـة الالمانيـة.. يسـألوني الناس في الخـارج: "هل هناك فلاسـفـة ألمان؟ هل هناك شعـراء ألمان؟ هل هناك كـتب ألمانيـة **جيدة**؟ " أحـمر خـجـلا، لكنني أجيب، بالجسارة التي تميـزني في أشد الحالات حرجا: " أجل، هناك بسـمارك!" أيكـون علي أن أعتـرف بالكتب التي يقـرأها الناس اليوم؟... غريزة قلة الذكاء الملعونة!

2

من لم يشـعـر بالكآبة وهو يتـفكر فـيمـا **قد** يكونه العـقل الالماني؟ لكن هذا الشـعب قد تبلد عـمدا منذ مـا يقارب ألف سنة: مـا أفرط الناس، بشكل مـعيب، في استـعـمال الكـحول والمسيحية، هذان المخـدران الاوربيان المشهوران، في أي مكان آخر مـثلما فـعلوا في ألمانيا منذ زمـن غير بعيد انضـاف اليهـما مخدر ثالـث يكفي وحده لتوجيـه الضربة القاضية لـكل سرعة

خاطر دقيقة ومقدامة: **أعني** الموسيقى، موسيقانا الالمانية الثقيلة والمثقلة... كم نجد في الذكاء الالماني من جاذبية حزينة، من خور، من رطوبة، من رجل قِعدة مهمل، من **جعة!** كيف يحدث أن لا يشعر الشبان الذين ينذرون وجودهم لأسمى مقاصد العقل في أنفسهم

بغريزة الحياة والعقل الاساسية. **غريزة حفظ** العقل- وأن يشربوا الجعة؟ إدمان شباب العالم قد لا يشكك في علمه - يستطيع المرء أن يكون عالما كبيرا دون أن يكون له أدنى قدر من العقل- ، لكن ذلك يبقى مشكلة في ظل كل الاعتبارات الاخرى. أي مكان يغيب فيه هذا الانحطاط البطيء الذي تحدثه الجعة في العقل؟ فيما مضى، في حالة صارت شبه نموذجية، اكتشفتُ مثل هذا الانحطاط، انحطاط اول مفكر الماني ملحد، دافيد شتراوس **اللبيب** الذي انحط الى مجرد مؤلف انجيلي مشْرَب الجعة، مؤلف "الايمان الجديد"... لم يكن غير ذي جدوى أداؤه قسم الولاء لـ "لسمراء المحبوبة" في أشعاره وقد ظل وفيا لها حتى موته.

3

قلت عن القل الالماني أنه بدأ يصير أكثر فضاضة، أكثر تسطحا. هذا كل شيء؟ في الحقيقة، إن ما يرعبني شيء آخر تماما: هو رؤيتي إلى أي حد تنحط الجدية الالمانية، ينحط

العمق الالماني، **شغف** الالمان بكل امور العقل. الحساسية الشغوفة تغيرت هي الاخرى –وليست العقلانية فقط. لي صلات ببعض الجامعات الالمانية هنا وهناك: ياله من جو وسط هؤلاء العلماء! يا لها من حياة فكرية فارغة، فاترة وقليلة التطلب! ولو أن أحدا عارضني هنا بالعلم الالماني فسيكون ذلك لا منطقية خطيرة– فوق ذلك، سيكون دليلا على أنه لم يقرأ ولو سطرا واحدا مما كتبت. منذ سبعة عشر عاما وأنا أبين التأثير" اللامروحِن" لنشاطنا "العلمي" الحالي، وما آذني ذلك. إن الاسترقاقية الفظة التي حكم بها التوسع المريع للعلوم على الفرد في وقتنا الراهن لهي واحدة من الاسباب الرئيسية التي تجعل أشخاصا مترعين، جميلين وطيبين، **عميقين**، تجعلهم لا يجدون لا تربية ولا **مربين** في مستواهم. الذي تعاني منه ثقافتنا **أكثر** هو وفرة المقاولين المتغطرسين، وفرة الدراسات المجزأة للآداب القديمة. جامعاتنا هي، **بالرغم** عنها، عبارة عن مصاري حقيقية ينمو فيها هذا النوع من ضنى الغريزة التي يعاني منه العقل. وقد بدأت أوربا كلها تتنبه إلى ذلك. "السياسة الكبرى" لا تخدع أحدا... بدأت ألمانيا تصير **سهل** أوربا أكثر فأكثر. لا زلت **أبحث** دون جدوى عن ألماني واحد **أستطيع** أن أكون معه جديا على طريقتي– وبالاحرى ألمانيّا أستطيع أن أكون معه مريحا! **أفول الاصنام**: من سيفهم **بأية جدية** يسعى فيلسوف هنا لأن يتسلى! المرح هو الشيء الذي نفهمه في أنفسنا بشكل أقل.

4

لنقم بعملية حسابية سريعة: غير جلي أن الثقافة الالمانية في انحطاط شامل فحسب، بل إننا لا نعدم أسباب تفسيرها. في النهاية، لا أحد يستطيع أن ينفق مما يملك

-ينطبق هذا على الافراد وعلى الشعوب كذلك. إذا أنفقنا على القوة، على السياسة الكبرى، على الاقتصاد، على المبادلات الدولية، على البرلمانية، على المصالح العسكرية، إذا أنفقنا كل ما نملك **من هذا الجانب**، إذا أنفقنا كلما **نحن عليه** من ذكاء، من جدية، من ارادة، من سيطرة على الذات، فإن كل هذا سينعدم في الجانب الآخر. الثقافة والدولة نقيضان- لانخطئن في ذلك- : إن فكرة دولة خالقة للثقافة فكرة حديثة. تحيا الواحدة على حساب الاخرى، تزدهر الواحدة على حساب الاخرى. كل العصور المزدهرة للثقافة هي عصور انحطاط سياسي كل ما هو عظيم في جانب الثقافة كان دائما غير سياسي، بل و**مضادا للسياسة** . لقد انفتح قلب غوته لظاهرة "نابليون"؛ وانغلق أمام " حروب التحرير" ... في اللحظة ذاتها التي تصعد فيها ألمانيا كقوة كبيرة تكتسب فرنسا اهمية متزايدة ك**قوة ثقافية** . ومنذ ذلك الحين اختار جزء كبير من الجدية الجديدة، من ال**شغف** الجديد بأمور العقل، باريس مقرا له: هكذا فإن مسألة التشاؤم، مثلا، مسألة فاغنر، كل

المسائل النفسية والفنية تقريبا تناقش في باريس بدقة وعمق لا يمكن أن نقارن معهما الدقة والعمق اللذين تناقش بهما في ألمانيا -الالمان أنفسهم **عاجزون** عن هذا النوع من الجدية. إن مجيء "الرايخ" يمثل، في تاريخ الثقافة الاوربية، **انتقالا لمركز الجاذبية**. اصبح الناس في كل مكان يعلمون هذا: لم يعد الالمان يلعبون أي دور بخصوص الاساسي (الذي يظل هو الثقافة. " يسألوني الناس: هل ينمكنك أن تذكر عقلا واحدا **ذا أهمية** في أوربا، مثلما كانت لغوته، لهيجل، لهنريك هاينه، لشوبنهاور أهمية في زمنهم؟ أن لا يكون هناك الآن فيلسوف ألماني واحد، هذا ما لا يكف الناس عن الاندهاش له.

5

لقد فقد التعليم العالي في المانيا، فبي مجمله، ما هو أساسي: الهدف، وفقد كذلك الوسيلة لبلوغ هذا الهدف. أن تكون التربية العامة غاية في ذاتها - وليس "الرايخ" - وأن يكون المربي ضروريا لهاته الغاية (وليس استاذ التعليم الثانوي أو الباحث الجامعي)، هذا ما نسيه المسؤولون... ما ينقص هم مربون **مربّوْن هم انفسهم**، هي عقول متفوقة ومتميزة، تثبت قيمتها وإمكاناتها في كل الظروف بكلماتها وبصمتها، عقول تكوّن ثقافات حقيقية حية، ناضجة **وشهية** -وليس العلماء الافظاظ الذين توفرهم الجامعة والثانوية للشاب مثل "مرضعات

متفوقات". المربون منعدمون إذا ما استثنينا استثناءات الاستثناءات: إن الشرط الاولى لكل تربية هو الذي ينعدم إذن؛ من ثمة انحطاط الثقافة الالمانية -صديقي المبجل، يعقوب بوركهارت، من بازل، واحد من هاته الاستثناءات النادرة، ان بازل مدينة له بكونها تحتل الرتبة الاولى في دراسة الاداب القديمة -وفي الـ"انسانية". في الواقع، ان ما يحصل عليه التعليم الالماني الذي يسمى "عاليا" هو ترويض عنيف يمكّن، في اقل وقت ممكن، من جعل العديد من الشباب صالحين للاستعمال -صالحين للاستغلال- في خدمة الدولة. "تعليم عال" وتعدد لا يحصى، هذا تناقض بين في المبدأ. لا يخصص التعليم العالي الا للاستثناءات. يجب ان يكون المرء موهوبا كي يطمح الى مثل هذا الامتياز السامي جدا. لا يمكن ابدا ان تكون كل الاشياء العظيمة والجميلة من الاملاك العامة : est paucorum Hominum Pulchrum: [1]. ما الذي يحدد انحطاط الثقافة الالمانية إذن؟ إنه كون "التعليم العالي" لم يعد امتيازا" - إنها النزعة الديمقراطية في الثقافة "العامة" التي اصبحت "شائعة" وعامية... لا ننسى ان الامتيازات التي يمنحها الجيش ترغم الناس على التردد على المدارس العليا بإفراط، ترغمهم اذن على تخريبها... في ألمانيا الحالية، لم يعد

---

(1) أشياء الإنسان القليلة جدا (م)

هناك احد حرا في إعطاء ابنائه تربية رقيقة، كل "مدارسنا العليا"، دون استثناء، مضبوطة على سطحية مريبة جدا، في هيئتها التدريسية، في برامجها، في مثلها التربوي. وفي كل مكان تسود عجلة غير لائقة كما لو أن شيئا ما قد ضاع نهائيا، في الوقت الذي لا يكون فيه شاب في الثالثة والعشرين من عمره قد فرغ منها ولا يكون لديه جواب جاهز عن السؤال "الرئيسي": **أية** مهنة تختار؟ ... ان طبقة متفوقة من الناس، ولتغفروا لي ذلك، لا تحب سماع الحديث عن "المهن"، لانها تفتخر بأن لها موهبة... ان لديها متسعا من الوقت، انها لا تتعجل، لا تفكر في أن "تفرغ منها" -في الثلاثين من العمر، يكون المرء، من منظور الثقافة المتفوقة، لا يزال مبتدءً ، طفلا. ثانوياتنا المكتظة وأساتذتها المرهقون والمخبولون فضيحة حقة؛ للدفاع عن حالة الاشياء هاته، مثلما فعله حديثا اساتذة هايدلبرغ، يمكن ان تكون للناس **دوافع** لكنهم لن يستطيعوا ان يجدوا حججا.

6

حتى اظل وفيا لمزاجي، الذي هو ايجابي في الاساس ولا يتعاطى للنقد والمنازعة الابشكل غير مباشر وعلى مضض، فإنني أسارع في عرض المهمات الثلاث التي لا بد لها من مربين. يجب أن نتعلم **أن نرى**، يجب ان نتعلم **أن نفكر**،

يجبُ ان نتعــــلم أن **نتكلم وأن نكتب** : الهـدف من هاته المواد العلمية الثلاث هي ثقافة رقيقة. أن نتعلم أن **نرى**: أن نعود العين على الهـدوء، على الصبر، على ترك الاشياء تأتي إليـها، على تعليق الحكم، ان نتعـلم الاحاطة بالجزء ونفهـمه في إطاره الكلي. هذه هي المدرسـة التـمهـيدية الاولـية لحياة العـقل: الا نستـجيب فورا لأي إغراء بل نعـرف كيف نستـغل الغرائز التي تَكبح وتَعـزل. ان نتـعلم **ان نرى** هو، بالمعنى الذي افـهمـه، ان نمتلك تقريبا ما تسميه اللغة غير الفلسفية قوة الارادة: الاساسي هنا هو **ان لا** نريد فعـل شيء ما، **أن نعرف** كيف نعـلق قرارنا. يأتي كل مـوقف مضـاد للروحانيـة، كل فظاظة من العجـز عن مقاومة اغراء مـا: يجد الناس انفسهم **مرغمين** على الاستجابة، يخضـعون لكل مـحرض نفسي. في كـثيـر من الحالات يكون مثل هذا الارغـام علامة مـرض، علامة انحطاط، امـارة إنهاك. ليسَ كل ما تعرفه الفظاظة غير الفلسفية تقريبا بكلمة "نقيصة" سوى ذلك العجـز الفزيولوجي **عن** الاستجابة. النتيـجة العملية لتربيـة العين هذه: فيمـا بعد، حيث سيكون على المرء **أن يتعلم** شيئا ما سيكون قد صار بطـيئا، حذرا صموتا. سيدع في بادئ الامر كل ما هو مجهول وجـديد يقترب بهدوء معاد، ثم ينزع منه اليد بحذر تام. الميل مع كل ريح، السجود امام كل حدث تافـه بمجـاملة مـفـرطة، المسـارعـة في الارتماء على الآخـرين – وعلى كل مـا هو آخـر – باخـتـصـار، الموضوعـيـة العـصـرية"

المشـهورة تصـدر عن اشد الاذواق فـسادا، انهـا عكس **التمييز بامتياز***

7

ان نتعلم **أن نفكر**: ليست لمـدارسنا ادنى فكرة عما يـعنيه ذلك. حتى فـي الجامعـات، بل وحتى ضـمن أعلم الفلاسـفة، يصير المنطق، بما هو نظرية وممارسة وتقنيـة نحو الافلاس. لنقرأ بعض الكتب الالمانية: لقد نسي فيـها تماما أنه لكي يتم التفكير فـلا بد من تقنيـة، من برنامج، من ارادة التـحكم، انه لا بد من تعلم التفكيـر مثلما يتـعلم الرقص، كنوع خاص من الرقص... من من الالمان يعرف، عن تجربـة، تلك القشعريرة الخفـيفة التي تنشرها مشية العقل المجنحـة في كل العضلات؟ البلاهة العنيدة في حركات العقل، اليد المتثاقلة، هذا شيء ألماني بمكان بحيث لا يفـرق الناس في الخـارج بينـه وبين العـبـقـرية الالمانيـة. ليس للألماني مـهارة فيـما يخص الـفروق*... ان كـون الالمـان قـد استطاعوا تحمل فلاسفتهم، وخاصة اشد كسيحي الفكر دمامة على الاطلاق، **كانط العظيم**، إن ذلك يعطي فكرة صريحة عن الرقة الالمانية! -لا يمكننا انْ نتستعبد **الرقص**، بكل اشكاله، من **تربية رقيقة**: ان يعـرف المرء كـيف يرقص برجليـه، بالافكارو بالكلمات. ألا يزال هناك داع لان نقول بأنه على المرء أيضا أن يعـرف كـيف يرقص بـ**قلمـه** -بأنه عليـه ان يتـعلم **ان يكتب**؟

لكن، عند هذا الحد، سأكون قد صرت معمّى تماما بالنسبة لبعض القراء الالمان...

هذيان انسان «لاراهني»[1]

لا يطاقون (بالنسبة إلي)

سينيك : ا و مصارع الثيران من أجل الفضيلة.

روسو : او العودة الى الطبيعة in impuris naturalibus

شيلر : او «بوق ساكنجن» للاخلاق.

دانتي : او الضبع الذي ينظم الشعر على الاضرحة.

كانط : او **لرياء** باعتباره «طبعا معقولا».

فكتور هوغو : او المنارة على ساحل أقيانوس العبث.

لِسْت : او فن إطلاق العنان للإلهام... في إثر النساء...

جورج صاند : او la lactea ubertas ، اوبتعبير آخر، البقرة الحلوب (ذات الاسلوب الانيق).

ميشْليه : او الحماس في ذراع القميص.

كارلايل : او تشاؤم الفطور الذي لا يُهْضَم.

جون ستوارت ميل : او الوضوح الجارح.

الاخوة كَونكور : او مبارزة البطلين اجاكس لهوميروس (موسيقى أو فنباخ).

زولا : او«لذة الإنتان».

رينـــــان

اللاهوت، او إفـســـاد العـقل ب « الخـطيئــة الاصليــة» (المسيـحية). الشـاهد هو رينان الذي بجانب الصـواب بانتظام مـضن بمجـرد ما يخطر بـأن يقول نعم أو لا ذَاتَا بـعد عـام. إنه يريد، على سبيل المثال، ان يكون العلم* والنبالة* شيئا واحدا فقط. لكن العلم* يتساوى مع الديمقـراطية. هذا شيء واضح. إنه يود ان يجـسد النزعـة الارستـقراطيـة للذهن – وليس ذلك بالطموح الهين. لكنه، في الآن ذاته، يجـثو –بل ينبطح – امام العقيـدة المضادة، **إنجيل المتواضعين**... مـا جـدوى كـل «الفكر الحر»، كل العصرية، كل السخـرية، وكل رشاقة قفا أبولوي 1 في حين انه قد ظل، من كل اعمـاقه، مسيحيـا كاثوليكيا، بل وقـسا! إن رينان، مـثل اليـسـوعي ومثل المعـرف تماما، يوظف ابتكاره كله فـي فن الاغواء: فـالعـقـلانيـة تبـرز لديه ابتـسـامـة الاكليـروس العـريضـة والمُرائيـة – إنه، مـثل سـائر الكهـان، لا يصـبح خطرا الا عنـدمـا يحب. لا احـد يعـرف مـثله أن **يتدله**

بطريقـة خطرة للغاية... إن ذهـن رينان هذا، الذهن الذي يثيـر الاعصاب لهو كارثة اخـرى لفرنسا المسكينة المريضة، المريضة بالخمول.

3

سانت بوف

ليس فيـه من الرجوليـة شيء: إنه ممتلئ بحقـد حقيـر ضد كل العقـول الرجوليـة. انه يطوف، رشيـقا، فضـوليا، ضـجرا، راصدا، في الواقع انه امرأة حقيقية، وله ضغائن المرأة وشبقيتها. عالم نفس، نابغ في **الاغتياب*** لا تعوزه الوسائل في هذا ابدا، لا احد يـعرف مـثله ان يمزج التقـريظ بالسم. عامي في غـرائزه الدنيا وقريب من حقد* روسو: بالتالي فهو رومانسي -لان في كل رومانسي تـدمدم وتزمجـر غريزة روسو، مـولعة بالانتـقام. ثوري، لكن الخوف كبحه كثيـرا. ليس له استقلال امام كل ما يمثل قـوة (الرأي العام، الاكـاديميـة، البلاط، بل وحـتى Port Royal) مـتقـرح بكل مـا هو عظيـم في الانسـان وفي الاشيـاء، بكل ما ينمو لذاته، هو حقا شـاعر بما فيه الكفاية ونصف امرأة لكي يحس بالعظمـة كقـوة. متقـوقع باستـمرار، مـثل الخرطوم تماما لانه يشـعر دائما بأنه مـداس. ناقد دون معاييـر، دون حزم ودون كرامـة، له فهم **الفاجر**، لكن دون ان تكون له شـجاعـة الاقـرار **بفجوره***. مـؤرخ دون فلسـفـة، دون قـوة الـنظرة

الفلسفية. لذلك يتقاعس عن واجب اصدار الحكم امام كل ما له اهمية متدثرا بقناع الـ"موضوعية". يتصرف بخلاف هذا تماما حيثما يشكل الحجة الكبيرة ذوق دقيق وضجر، هناك تكون لديه الشجاعة فعلا لات لان يكون ذاته، تكون لديه رغبة في أن يكون ذاته- هناك يكون هو **السيد.** من بعض الجوانب، هو مسودة بودلير.

4

محاكاة المسيح واحد من تلك الكتب التي لا أستطيع أن أمسكها بين يدي دون رد فعل دفاعي من الجسد: إنه يفوح بعطر "الانثوي الخالد" القوي جدا بالنسبة لكل من هو غير فرنسي- أو فاغنيري... لهذا القديس الطريقة في التحدث عن الحب تثير فضول الباريزيات أنفسهم- قيل لي إن امهر اليسوعيين أوغست كونط. الذي أراد أن يعود بالفرنسيين الى روما بلغة العلم، قد استوحى هذا الكتاب. أود أن أصدق ذلك: "ديانة القلب"...

5

جورج إليوت:

الآن وقد تخلصوا من الاله المسيحي، فإنهم يعتقدون أنهم ملزمون باحترام الاخلاقية المسيحية بشكل دقيق: هذا منطق

إنجليزي محض، ولا ينبغي أن نحقد على صغار العجائز الواعظات على **طريقة*** جورج إليوت، في إنجلترا، مقابل كل تحرر بسيط من اللاهوت يجب أن يسترد الناس حقوقهم بتطرف اخلاقي مريع. تلك هي الذعيرة التي يجب أداؤها. الامر بخلاف ذلك بالنسبة لنا نحن المغايرين. فحين نتخلى عن العقيدة المسيحية، فإننا ننزع عنا في نفس الوهلة كل **حق في** الاخلاقية المسيحية. **ليست** هاته شيئا مسلما بكل بساطة: إنهانقطة ألا ينبغي أن نكل من توضيحها مهما كان رأي العقول الانجليزية المسطحة. المسيحية نظام، رؤية **شاملة** ومتماسكة للأشياء. اذا نحن نزعنا منها فكرة اساسية، وهي الايمان بالله، فإننا نهدم الصرح كله في نفس الوهلة: ولا يتبقى بين ايدينا آنذاك شيء له ادنى لزوم. تفترض المسيحية في المنطلق ان الانسان لا يعلم، لا **يستطيع** أن يعلم، ما هو خير له وما هو شر له: إنه يؤمن بالاله الذي وحده يعرف ذلك. الاخلاقية المسيحية امر قطعي: اصلها متعال، فهي فوق كل نقد، فوق كل حق في النقد. ليس لها من حقيقة الا إذا كان الاله هو الحقيقة - انها لا تستمر الا ما دام الايمان بالله مستمرا. اذا كان صحيحا ان الانجليز يعتقدون انهم يعرفون «الحدس» ما هو شر، ان كانوا يعتقدون اذن انهم لم يعودوا في حاجة الى المسيحية كضمانة لأخلقيتهم، فإن هذا ليس سوى نتيجة لطغيان حكم القيمة المسيحية وتعبير عن قوة

وعمق هذا الطغيان –الى درجة أن أصل الاخلاقية الانجليزية قد نُسي، الى درجة ان الناس لم يعودوا يشعرون بما لحقهم في الوجود من إمكان. بالنسبة للانجليزي، لا زالت الاخلاقية لم تصبح مشكلة بعد...

6

جورج صاند

لقد قرأت **رسائل مسافر** الاولى: إنه كتاب، مثل كل ما يصدر عن روسو، مزيف، مختلق، فارغ ومتكلف ومبالغ... لا اطيق اسلوب النجود المبرقشة هذا، كما لا أطيق الطموح العامي الى عواطف نبيلة. يظل الاسوء هو هذا الغنج الانثوي الذي تصاحبه مظاهر ذكورية، يصاحبه سلوك ولد اسيئت تربيته.– ستكون هاته "الفنانة" التي لا تطاق وانية الشبق بسبب كل هذا! كان تتقوى مثل رقاص الساعة وتكتب، تكتب... باردة مثل هيجو، مثل بالزاك، مثل كل الرومانسيين حين يشرعون في النظم! بأي عجب كانت تستطيع أن تتفاخر، بقرة الآداب الحلوب الثرة هاته، هي التي كان فيها، تماما مثل روسو، معلمها، شيء ما ألماني، بالمعنى الرديء لهاته الكلمة، وانحطاط الذوق الفرنسي وحده الذي جعله ممكنا على كل حال! – لكن رينان مفتون بها...

7

أخلاقية مخصصة لعلماء النفس

لا تمارسوا علمَ نفسِ روايةِ مسلسلة! لا تلاحظوا ابدا من اجل الملاحظة! فذلك يخلف عيبا في النظر، حزرة، شيئا متكلفا ومفرطا. التجربة المعيشة على سبيل التجربة عمدا، -لا تفضي الى شيء. في التجربة المعيشة، لا يجب ان ننظر الى انفسنا ونحن نحيا، لان كل نظرة تصير انذاك نظرة «عين لامة». إن عالم النفس بالولادة يتجنب، فطريا، ان ينظر من أجل النظر: وكذلك الشأن بالنسبة للرسام بالولادة، انه لا يشتغل ابدا «نقلا عن الطبيعة : انه يكلف سليقته، obscura sa camer[1] بانتقاء «الحالة الفريدة»، انتقاء الـ «طبيعة»، انتقاء الـ «معيش». والتعبير عنها... انه لا يعي إلا العام، الا الخاتمة، الا النتيجة: إنه لا يعرف هذا التعميم التعسفي انطلاقا من الحديث الفريد. ماذا يجري حين نتصرف بخلاف ذلك؟ مثلا، حين نطبق علم نفس الرواية المسلسلة جملة وتفصيلا، مثل **لروائيين*** البارسيين؟ ذاك يراقب لكم الطبيعة على نحو ما، **ذاك** يحمل لك إلى المنزل كل مساء حفنة من الوقائع العجيبة... لكن يكفي أن نرى ما ينتج عنها في نهاية المطاف: ركام من البقع، فسيفساء في أحسن

(1) قيتة المعتمة (م)

الاحوال، وعلى أي حال شيء ملفق، صخاب، مضطرب. في هذا النوع، الاخـوة كَونكور هم الذين يحـصلـون على أسـوء نتـيـجـة إنهـم لا لا يرصـفـون ثلاث جـمل لا تؤذي الانظار – انظار عالم النفس، كما يُفـهـم من ذلك. – إن الطبيعة، منظورا إليـها من وجـهة نظر الفن ليـست نموذجا. إنهـا تغالي، تـشوه، وتترك بقـعا بيضـاء. الطبيـعة هي **الصدفة**. الدراسـة "نقـلا عن الطبيعـة" تبدو لي سمة مشينة: إنهـا تكشف عن العبودية، عن الجبن، عن القـدرية– هاته الطريقـة في تعـفيـر الجـبين بين يدي **الاحداث التافهة*** غيـر جديرة بفنان **متكامل.** أن ترى مـا هو كـائن، تلك مـيـزة طبـقة أخـرى من العـقـول، مـضـادة للفنان وعامية. يجب أن نعْلم من تكون.

8

بصدد علم نفس الفنان

لكـي يكون هـناك فن، لكـي يكون هـناك فـعل ونـظرة جماليـان، لا بد من شرط فزيولوجي: **الانتشاء** . لابـد أولا أن تكون انفعـالية كل الآلة قد كشـفتها النشـوة. كل أنواع النشوة مهـما يكن مصدرهـا، لها هاته القدرة خـصوصا نشوة التـهيّج الجنسي، أقدم أشكـال النشوة وأشدها بدائيـة. ثم تليهـا النشوة التي تسببـها كل الرغبات الكبرى، كل الانفـعالات الشديدة. نشوة العـيد، نشوة المبارزة، نـشوة الإقدام، نشوة النصـر، نشوة

كل تهيج عنيف: نشـوة الفظاظة، نشوة الهدم- النشـوة الناتجة عن بعض الاحـوال الجوية(الاضطراب الربيـعي مثـلا)، أو تحت تأثير المخدرات، أخيرا تأتي نشـوة الارادة، نشوة إرادة تم كبحها طويلا، وهي مـتـأهبـة للانفـجـار. - الاسـاسي في النشـوة هو الاحساس، هو تكثيف القوة، تـكثيف الكمال. هذا الاحساس هو الذي يدفع الانسـان الى وضع شيء من ذاته فـي الاشيـاء، الى **إرغامـ**ـها على احتواء ما يضعه فيها، الى التعسف في حقها: هذا مـا يسـمى **الأَمْثَلَةُ** . لنتـخـلص هنا من حكم مـسبق: أن الامثلة لا تقـتضي إطلاقا، مثلـما يعتقـده الناس عادة، أن نغض الطرف عـما هو حـقيـر وثانوي- أو أن نتـملص منه-. الشيء القـاطع، على العكس، هو **إظهار** الملامح الرئيسـية بشدة تمحي الاخرى.

9

في هذه الحـالة يُغني الانسـانُ كل شيء بكامله هو، وكل ما يراه، كل ما يردده، يراه جـريئا، متوترا، قويا، حـافلا بالقوة. الانسـان الذي يعرف هذه الحـالة يغير مـلامح الاشيـاء إلى أن تعكس له صورة قوته-إلى أن تصيـر مجرد انعكاسات لكماله. إن الـذي **يضطره** لأن يغـيـر كل شيء، لأنـيـصـيّر كل شيء كامـلا، هو... الفن. حتى كل مـا ليسـه الانسان يصـير، رغم كل شيء، فـرصـة له لـيـسـتـمـتع بكينونتـه: في الـفن، يجني

الانسـان متعـة من رؤية نفسـه كامـلا. وسيكون من الجـائز أن نتخيل حالة مضادة، طبعَ غريزة مـضادا للفن تخصيصا، طريقةً في العيش تـفقر الاشـياء، تفرغـها من جـوهرها، تصيبـها بفـقر الدم. والتاريخ، في الحقيـقة غني بمثل هؤلاء الفنانين المضادين، النّهـمين الذين لا يشـبعـون، المتـعطشين الى الحـيـاة، الذين لا يستطيعـون الامتناع عن استهـلاك الاشياء، عن افتـراسها، عن تجـريدها من اللحم. إنهـا، على سـبـيل المثـال، حالة المسـيـحي الحق: إذا باسكال. المسيحي الذي سيكون فـنان كذلك، هذا شيء غيـر موجود... لا يذهبن بكم الطيش الى أن تعـارضوني برفـائيل، أو بأي من المسيـحيين التـجانسيين في القرن التـاسع عشر. رفائيل كان يقول «نعم»، رفائيل كان **يجعل** من كل ذاته «نعم» وبالتالي لم يكن رفائيل مسيحيا...

10

مـا ذا يعني المفـهـومُ الثنائي القطب الـذي أدخلتُه في علم الجمال، مفهوم **الابولوني والديونيزوسي** (يعبـر المصطلحان عن شكلين من النشـوة) – النشـوة الابولونية تـهيج بشكل خـاص العينَ التي تتلـقى منهـا قوة الرؤيـة: الرسام، النـحات والشـاعـر الملحـمي هم رائون **بامتياز***. في الحـالة الديونيـزوسيـة، على العكس، فـإن مجـموع الحسـاسيـة هو الذي يُثار ويهـيّج إلى درجـة أنه يفرغ وسـائل تعبيـره دفـعة واحـدة وفي الوقت ذاته

يُكثّف قـوته في التمـثيل، في المحـاكاة، في تغـييـر الملامح، في التـحول، يكثف، كل اشكال فن المومئ والكومـيدي. ويـبقى الشيء الاساسي هو يُسْرُ التحول، هي الحالة الحرجة التي يكون فيـها المرء ممن **ليس** لهم رد فـعل (تماما مـثل بعض الهيـستـريين الذين يمـثلون **أي** دور منذ اول حـث لهم). يسـتـحـيـل على الديونيـزوسي ألا ينتهـز ادنى اقتراح – إنه لا يدع أيـة إشارة من التأثرية تمر، إنه يملك أعلى مـستوى من غريزة الفـهم والتخمين مثلما يملك فن التـواصل في أعلى مراتبه، إنه يلج أي جلد، أي انفعـال: لا يكف عن التحـول... إن الموسيـقى مثلما نفـهمـها اليوم، هي كـذلك تهيـيج كلي، تفريغ كلـي للانفعال، لكـنها ليـست مع ذلك سوى إثارة عـالم تعبـير انفـعالي أشـد كثـافة، ليـست سـوى **بقية** من التـمـثيل الديونـيـزوسي. لكي تصيـر الموسيقى فنا مغايرا للفنون الاخـرى اقتضى الامر إخماد سلسلة من الاحـاسـيس بأكمـلها، وخاصـة إحسـاس النشاط العـضلي (نسبـيا، على الاقل، لأنه لا يزال كل ايقـاع يخاطب عـضلاتنا الى حد ما): بحيث أن الانسان لم يعد يحاكي جسديا كل ما يشعر به على التو ولم يعد يومئ به. ومع ذلك **فـهاته** هي الحالة الديونيـزوسيـة العـادية أو على الاقل الحالة البـدائيـة. الموسيـقى "تَخَصُّص" تم اكتسابه ببطء من هاته الحالة التي تشكلت على حساب ملكات أخرى، تلك التي كانت اكثر اقترابا منها.

11

بأمر من غـرائزهم فإن الممثل والمومئ والراقص والموسـيقي والشـاعر الغنائي انسـاب بشكل دقـيق وممتزجـون في الاصل، لكنهم تخصصوا وابتعـد واحدهم عن الآخر - حد التعارض. الشـاعر هو الذي بـقي مرتبطا بالمـوسيـقى لاطول مـدة؛ مثلمـا الممـثل مع الراقص. **المهندس المعماري** لا يشكل حـالة أبولونيـة ولاحـالة ديونيـزوسـية: فـعل الارادة الكبـيـر، الارادة التي تهـد الجبال، نـشوة الارادة الكبيرة، هو الذي يريد ان يصـير فنّا هُنا. لقـد كـان الرجـال الاقـوياء دائمـا مـصـدر إلهـام للمـهندسين المعماريـين. لقد كان المهندس المعمـاري دائما خاضعـا لاقتراح السلطة. علـى الصـرح ان يظهـر للعـيـان الأنفـة، التـغلب على الجاذبيـة، إرادة القوة. الهنـدسة المعمـارية نوع من بلاغـة القوة التي تعـبر عن نفـسها بـأشكال مقنعـة حينا، او حـتى متـملّقة، وآمـرة فـقط حـينا آخـر. إن أعلى مـراتب الاحـسـاس بالقـوة وبالايمان يتوضح فـي كل عمل من **الطراز الرفيع**. القوة التي لم تعـد في حاجـة الى براهين، التي تسـخـر من إرضاء الآخـرين، التي لا تملك جوابا مـيسورا، التي لا تشـعر بشهود حـولها التي تحيـا دون أن تعي المعارضـات التي تثيرها، الـتي تقوم في **ذاتها**، قـدرية، قـانونا ضـمن القـوانين: **هذا** هو الطـراز الرفـيـع الذي يتحدث عن نفسه.

لقد قرأت حياة **توماس كارلايل**، هذه الـ**هرجة*** اللاإرادية واللاواعيـة، هذا التفسيـر البطولي - الواعـظ لحالات عسـر الهـضم... كارلايـل، رجل الكلمات البليغـة والمواقف المبـالغ فـيهـا، خطيب متـصنع **من باب الحـاجـة**، باستـمرار تدغـدغه الحاجة الى ايمان قوي **و** يدغدغه الاحساس بأنه كان عاجزا عن بلوغه (في هذا، كان رومنسيا حقيقيا!). الحاجة الى ايمان قوي **ليست** علامة ايمان قوي، انهـا العكس على الاصح، حين نتوفر عليـه يمكننا أن نسـمح لأنفسنا، عـلى غيـر العـادة، بممـارسـة الشكوكـيــة-حين نكون جــد واثقين، جــد حـازمين، جــد راسخين، جد ملتزمين لـنقوم بهذا. إنك كارلايل، **بشدة** توقيره لذوي الايمان، وباستـشاطته غـضبا ضـد اولائك الذين هم أقل سـذاجة، يحـاول أن يزعج شيئـا مـا فيـه: **هو في حــاجة** الـى ضجيج. إن مـا يعود له تماما، ما يجـعله وسيظل يجعله مـهما، هي **عدم استقامة** تابثة وانفـعالية تجاه نفسه. لاشك أن الناس، في انجلترا، يعجبون به بالضبط لاستقامته... هذا شيء انجليزي مـحض: وإذا تفكرنا أن الانجليز هو شـعب **الرياء** التام فـإن هذا شيء عـادي تمامـا، بل ومـفـهـوم. في الواقع، كـارلايل ملحـد إنجليزي يدعي نخوة **عدم** كونه كذلك.

13

إيمرسون

اكثر استنارة، اكثر بحثا، اكثر تعقيدا من كارلايل، وأكثر سعادة بالخصوص...

وتجد من أولئك الذين، فطريا، لايتغذون إلا بالرحيق1 ويدعون جانبا كل ما هو غير قابل للهضم في الاشياء. إنه ذواقة بالمقارنة مع كارلايل. كارلايل الذي كان يحبه كثيرا، كان مع ذلك يقول عنه «إنه لا ينيلنا كل ما نتوقع»، الشيءالذي يمكن أن يقال بحق، لكنه يبقى تشريفا لإيمرسون.
- يتوفر إيمرسون على هذا الفرح العطوف والفائض بالدعابة الذي يجرد الجد من سلاحه. إنه لا ينتبه إلى أي حد قد صار شيخا، إلى أي حد سيظل شابا في المستقبل. يمكنه أن يسترجع لصالحه كلمة Lope de vega: « Yo me succedo a mi mismo» [1]، دائما يجد ذهنه اسبابا ليكون راضيا بل ومعترفا بالجميل. وأحيانا يبلغ صفاء ذلك الرجل الشجاع العائد من موعد غرامي Ut desint vires Tanquem re bene gesta 2 صرخ معترفا بالجميل، tamen est laudanda volupta3

(1) «أنا أخلف نفسي» (م)

(2) وكأنه حقق عملا باهرا (م)

(3) لتسترق القوى، فإن اللذة تظل جديرة بالاطراء (م)

14

ضد داروين

فيما يخص مقولة «الصراع من أجل الحياة» المشهورة، فإنها تبدو لي حتى الآن منادى بها أكثر مما هي مبرهن عليها. يمكن لها أن تحدث، لكن هذا استثناء: الميزة الغالبة للحياة ليست هي القحط **بتاتا**، ليست هي المجاعة، بل هي على الاصح الغنى، الوفرة بل والتبذير العبثي- حيثما يكون صراع فهو صراع على **السلطة**... ينبغي أن لا نخلط الطبيعة مع مالتوس. -وحتى إن اعترفنا أن هذا الصراع يحدث فعلا - وإنه، فعلا، يحدث أحيانا - فإن نهايته معاكسة لتلك التي تتمناها مدرسة داروين، والتي **ينبغي** للناس، ربما، أن يتمنوها معها: إنه ينتهي على حساب الاقوياء، على حساب ذوي الامتياز، على حساب الاستثناءات المحظوظة. لاتنمو الانواع في اتجاه الكمال. يتفوق الضعفاء على الاقوياء أكثر فأكثر - ذلك لأنهم أكثر عددا، ولأنهم كذلك **أكثر ذكاء**...لقد نسي دروين العقل (هذا النسيان شيء انجليزي بالفعل)! والحالة أن الضعفاء **أكثر نباهة**... يجب أن نحتاج الى الذهن كي نتوصل إلى أن يكون لنا ذهن - إننا نفقده حين لا نعود في حاجة إليه. الذي يتوفر على القوة يستغني تماما عن الذهن («**لا تتعلق به...**»، يعتقد الناس في ألمانيا اليوم، « **فالرايخ ملك لنا...**»).

إنني أعني بالذهن، كما ترون، الحـذر، الاناة، الحيلة، الاخفاء، السيطرة على الذات، وكل مـا هو إيماء (الشيء الذي ينبغي أن نلحق به جزءا كبيرا من الفضيلة المزعومة).

محتويات الكتاب

NIETZSCHE

أفـــــول الأصنـــــــام

هذه الصفحات - كما يشي بذلك العنوان - هي قبل كل شيء تسلية، لفحة شمس ، أو فسحة في خضم وقت الفراغ الدراسي لدى عالم النفس. ربما تعلن كذلك عن حرب جديدة ؟ وربما تسمح لنا بالإصغاء إلى أصنام جديدة ... إن هذا الكتيب إعلان كبير للحرب أما الأصنام التي يتعين الاصغاء اليها، فهي ليست هذه المرة اصنام العصر، إنها اصنام خالدة، نضربها هنا بالمطرقة كما لو بمعيار النغم - ليست هناك اصنام اقد م منها، اشد وثوقية منها فيما فعلته، أكثر منها تعجرفا بأهميتها... وليست هناك اصنام افرغ منها... وهذا لا يمنعها من أن تكون هي الاصنام التي يؤمن بها الناس أكثر. ومع ذلك فإن الناس لا ينادونها، خصوصا أكثرها تميزا، بالأصنام...

ردمك : 9981-25-061-9